بين تعبيرات "الإيمان" و"العقيدة" و"اللاهوت"

أولاً: الإيمان

ورد عن الإيمان أنه هو "الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى" (عب ١١: ١).

وورد عنه أيضًا أنه ضمن "مواهب الروح القدس" (انظر ١كو ١٢: ٩). وأنه ضمن "ثمار الروح القدس" (انظر غلا ٥: ٢٢). وورد عنه أيضًا بأنه "يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ" (عب ١١: ٦). وقال السيد المسيح "كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ حِينَمَا تُصَلُّونَ فَآمِنُوا أَنْ تَنَالُوهُ فَيَكُونَ لَكُمْ" (مر ١١: ٢٤). وقال أيضًا "مَنْ آمَنَ وَاعْتَمَدَ خَلَصَ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ يُدَنْ" (مر١٦: ١٦).

فالإيمان هو مسألة شخصية تخّص الإنسان نفسه في ثقته ويقينه، ومن جانب آخر هو عطية من الله، ولكن من اللازم أن يتقبله الإنسان بحريته واختياره. والإيمان في ثمار الروح القدس هو ضروري لخلاص الإنسان مثل "المحبة" و"التعفف". أما في مواهب الروح القدس فهو لبنيان الكنيسة، ولا يتوقف على قداسة الإنسان.

ثانياً: العقيدة

العقيدة هو ما تقرّه الكنيسة من المسائل الإيمانية والشعائر الدينية والطقوس الكنسية. وهو ما يعتقد به الشخص من هذه الأمور في تعليم الكنيسة وممارساتها مثل الأسرار الكنسية.

والعقيدة تصل إلى الكنيسة من خلال التسليم الرسولي؛ وهو التقليد الكنسي المكتوب والشفاهي، أو ما يسمى بالتقليد الرسولي.

وتشرح تعاليم الآباء القديسين العقيدة. وتعتبر أسفار الكتاب المقدس جزءًا من التقليد الرسولي؛ ولكن الكتاب المقدس في الوقت نفسه هو الحارس للتقليد، وهو دستور المسيحية الذي يحكم على صحة العقائد والتقاليد الكنسية.

ثالثاً: اللاهوت

"اللاهوت" يعني "الجوهر الإلهي" أو "الطبيعة الإلهية". والله في طبيعته بسيط أي غير مركَّب، وروحي لأن "اَللَّهُ رُوحٌ" (يو ٤: ٢٤)، وغير منقسم، وغير متغيّر. وهذا ما تعتقد وتؤمن به المسيحية.

وينبغي التمييز بين عبارة "اللاهوت" وعبارة "علم اللاهوت" وهذه بالإنجليزية Theology وهى مستمدة من التعبير اليوناني Θεολογία (ثيئولوجيا–theologia) أي "علم الله"، لأن Θεός

(ثيئوس) تعني "الله" و λογια– (لوجيا) تعني "علم". وهو العلم الذى ندرس فيه طبيعة الله، ووحدانيته، وتثليث أقانيمه، وعلاقة الأقانيم ببعضها. أما علاقة الثالوث بالخليقة فنسميها οἰκονομία (إيكونوميا–economia) أي "التدبير" ونميّزها عن عبارة "ثيئولوجيا" كما أوضحنا. والإيكونوميا ليست ظلاً للثيئولوجيا.

وينبغي أن لا نقول في تعبيراتنا دراسة "اللاهوت" ولكن نقول دراسة "علم اللاهوت" Theology، ولا نقول "لاهوت كنسي" بل "إكليسيولوجيا" Ecclesiology أي "علم الكنيسة"، ولا نقول "لاهوت عقائدي" بل "علم اللاهوت العقائدي" Dogmatic Theology، وكذلك "علم اللاهوت المقارن"... إلخ. أما "علم اللاهوت النظري" فيطلق عليه باللغة الإنجليزية Systematic Theology أي علم "اللاهوت النظامي".

الولادة والانبثاق

جاءتنا أسئلة عديدة عن الفرق بين ولادة الابن الوحيد الجنس وانبثاق الروح القدس من الآب السماوي.

لابد أن نذكر أن الآباء القديسين قد أشاروا إلى أن الفرق بين ولادة الابن وانبثاق الروح القدس من الآب هو أمر فائق للعقول. ولكن مع ذلك فنحن يمكننا أن نفهم شيئًا عن هذا الأمر من الدور المتمايز لكل أقنوم والخواص الأقنومية المتمايزة؛ مع الحرص في عدم المساواة أو التطابق بين الإرسال والولادة، أو الإرسال والانبثاق. لأن الإرسال هو في الزمن أما الولادة والانبثاق فهما قبل كل الدهور وخارج الزمن.

✞ نبدأ ونقول إن "**الولادة**" من الآب ينتج عنها "**الإعلان**" بالكلمة. أما "**الانبثاق**" فينتج عنه "**الإلهام**" بالروح القدس. و"**الإعلان**" نقصد به ما هو مرئي منظور ومسموع؛ أما "**الإلهام**" فنقصد به الوحي الداخلي.

الإعلان بالكلمة

أي أن الله كما يقول معلمنا بولس الرسول "بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، **كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ**" (عب ١: ١، ٢).

ويقول معلمنا بولس الرسول أيضًا عن الابن "الَّذِي هُوَ **صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ**" (كو ١: ١٥)، "الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ **صُورَةُ اللهِ**" (٢كو ٤: ٤) بمعنى أن الابن الكلمة هو صورة الآب غير المنظور مثلما نقول إن [الكلمة هو صورة العقل غير المنظور] وكما قال أحد الفلاسفة اليونانيين [كلمني فأراك].

وقال أيضًا عنه بولس الرسول بالنسبة للآب "الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ أقنوْمِهِ" (عب١: ٣). فالابن يعلن عن الآب غير المنظور.

لذلك قال يوحنا الإنجيلي "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا... اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلِابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ" (يو ١: ١٤ و١٨).

وقال سمعان الشيخ عن الطفل يسوع كمخلص للعالم "نُورَ **إِعْلاَنٍ** لِلأُمَمِ وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ" (لو ٢: ٣٢).

إذن فالآب أعلن لنا عن محبته بصليب ابنه الوحيد "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ" (يو ٣: ١٦). والسيد المسيح نفسه قال "الَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَي الآبَ" (يو ١٤: ٩). وقال "إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ **لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ**" (يو ١٠: ٣٨).

أي أننا رأينا في السيد المسيح الذي هو الكلمة المتجسد كل ما نحتاج أن نراه عن الآب وقيل عنه "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (١تى ٣: ١٦).

كذلك فإن الابن الوحيد هو الذي كان يظهر في العهد القديم للآباء والأنبياء مثلما ظهر لإبراهيم، وإسحق، ويعقوب، وجدعون، ومنوح، وموسى... وكل ذلك على مستوى "**الإعلان**".

الابن في تجسده قيل عنه "الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا" (١يو ١: ١) وهو صورة أبيه غير المنظور كما قلنا، فله "**الإعلان**".

وينبغي أن نلاحظ أن التجسد هو أيضًا ظهور؛ وليس كل ظهور هو تجسد.

الإلهام بالروح القدس

الروح القدس هو الذي ألهم الأنبياء والرسل وبذلك تمكنوا من كتابة أسفار الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد. **وهو يعمل دون أن نراه.** وهو يقود القديسين ويرشدهم. لذلك يقول معلمنا بطرس الرسول "لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط١: ٢١).

كذلك قيل أن "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ **مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ،** وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ والتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ" (٢تي٣: ١٦).

وعن قيادة الروح القدس قيل أن "كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ" (رو٨: ١٤). وحتى السيد المسيح نفسه من جهة ناسوته قيل عنه "أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ" (مر ١: ١٢، ١٣). أما من جهة لاهوته فله نفس الجوهر والمجد والسلطان والربوبية مع الآب والروح القدس.

وعن إرشاد الروح القدس قال السيد المسيح لتلاميذه "وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ" (يو١٦: ١٣). وقال أيضًا أنه "يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو١٤: ٢٦)، "وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ" (يو١٦: ١٣).

ومع أن الله روح بمعنى أن الآب هو روح، والابن من حيث لاهوته هو روح، والروح القدس هو روح، ولكن الروح القدس اختص بلقب "الروح القدس" لأن الروح عمومًا لا يُرى، ولأن الروح القدس يعمل دون أن نراه وله "الإلهام" وحتى لو ظهرت علامة عند حلول الروح القدس كما في يوم الخمسين؛ فإنها ألسنة منقسمة كأنها من نار ولا شخصية لها، وهي نعم ومواهب منه بحسب الطاقة وليس الجوهر؛ لأن الروح القدس لا ينقسم في جوهره ولا يتجسد ولكنها علامة عن تحقيق الوعد.

خاتمة

الولادة للابن والانبثاق للروح القدس كلاهما خروج جوهري من الآب بلا بداية قبل الأزمنة الأزلية وهما مثل ولادة النور المرئي وانبثاق الحرارة غير المرئية من اللهب الناري؛ الذي هو بنوره وحرارته نار واحدة بغير تقسيم.

الوحي

في علاقة الله مع الخليقة العاقلة وجدنا أن الابن باعتباره "**كلمة الله**" فله خاصية "**الإعلان**" أما "**الروح القدس**" فله خاصية "**الإلهام**". لذلك عندما قال القديس بطرس للسيد المسيح "أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ" (مت١٦: ١٦)، قال له "طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ" (مت ١٦: ١٧). أي أن الآب **يلهم** عن الحقائق الإلهية بواسطة الروح القدس. لذلك قال بولس الرسول "وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: يَسُوعُ رَبٌّ إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ" (١كو١٢: ٣). وقيل عن **النبوات** "لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ **نُبُوَّةٌ** قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللَّهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (٢بط ١: ٢١). أي أن كل النبوات التي وردت في الكتاب كانت **بوحي** من الروح القدس. وقيل أيضًا "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ **مُوحىً** بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ، لِلتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ الَّذِي فِي الْبِرِّ" (٢تي٣: ١٦).

وقال السيد المسيح عن الروح القدس "وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا

يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ" (يو١٦: ١٣-١٤)، "وَأَمَّا الْمُعَزِّي الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي **فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ**" (يو١٤: ٢٦). أي أن وعد السيد المسيح لتلاميذه أن الروح القدس سيلهمهم في كتابة أسفار العهد الجديد: الأناجيل الأربعة، وسفر أعمال الرسل، والرسائل البولسية، والرسائل الجامعة، وسفر الرؤيا.

وفي ختام سفر الرؤيا يقول الرب "أَنَا يَسُوعُ، أَرْسَلْتُ مَلاَكِي لأَشْهَدَ لَكُمْ بِهَذِهِ الأُمُورِ عَنِ الْكَنَائِسِ. أَنَا أَصْلُ وَذُرِّيَّةُ دَاوُدَ. كَوْكَبُ الصُّبْحِ الْمُنِيرُ. وَ**الرُّوحُ** وَالْعَرُوسُ يَقُولاَنِ: تَعَالَ. وَمَنْ يَسْمَعْ فَلْيَقُلْ: تَعَالَ. وَمَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّانًا. لأَنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالَ **نُبُوَّةِ هَذَا الْكِتَابِ:** إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَزِيدُ عَلَى هَذَا يَزِيدُ اللهُ عَلَيْهِ الضَّرَبَاتِ الْمَكْتُوبَةَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَحْذِفُ مِنْ أَقْوَالِ **كِتَابِ هَذِهِ النُّبُوَّةِ** يَحْذِفُ اللهُ نَصِيبَهُ مِنْ سِفْرِ الْحَيَاةِ، وَمِنَ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَمِنَ الْمَكْتُوبِ فِي هَذَا الْكِتَابِ" (رؤ ٢٢: ١٦-١٩). وفي السبع رسائل إلى الكنائس السبع قال السيد

المسيح في كل رسالة في الرؤيا "مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ **مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ**" (رؤ ٢: ٧ و١١ و١٧ و٢٩؛ و٣: ٦ و١٣ و٢٢).

والقديس يوحنا الرسول يحذرنا لمعرفة الروح القدس الحقيقي والوحي الصادق فيقول "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ ... بِهَذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ" (١يو ٤: ١-٢).

وقال بولس الرسول عن الروح القدس "الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ. لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هَكَذَا أَيْضًا أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ" (١كو٢: ١٠-١١).

إيكونوميا = التدبير

Economia – Οἰκονομία

نحن نميّز بين تعبير "الثيئولوجيا" (Theologia) أي علم اللاهوت أو كلام عن اللاهوت مثلما نتكلم عن ولادة الابن الأزلية من الآب أو انبثاق الروح القدس الأزلي من الآب، وبين تعبير "الإيكونوميا" (economia) أي التدبير. والمقصود هنا هو التدبير الإلهي في علاقة الله بالخليقة. فالله له مقاصد إلهية قصدها في نفسه ودبّرها ووضع لها خططًا محكمة تتناسب مع محبته وعدله وحكمته. وهذه الخطط الإلهية هي في قصد الله قبل الأزمنة الأزلية.

والنصوص التالية من الكتاب المقدس توضح جانبًا هامًا من هذه الأمور:

✞"إِذْ عَرَّفَنَا بِسِرِّ مَشِيئَتِهِ، حَسَبَ **مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ، لِتَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ**، لِيَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ، فِي ذَاكَ. الَّذِي فِيهِ أَيْضًا نِلْنَا نَصِيبًا، مُعَيَّنِينَ سَابِقًا حَسَبَ **قَصْدِ** الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ" (أف ١: ٩-١١).

✞"حَسَبَ **تَدْبِيرِ اللهِ** الْمُعْطَى لِي لأَجْلِكُمْ، لِتَتْمِيمِ كَلِمَةِ اللهِ. **السِرّ الْمَكْتُومِ** مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الأَجْيَالِ" (كو ١: ٢٥، ٢٦).

✞ "إِنْ كُنْتُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ **بِتَدْبِيرِ نِعْمَةِ اللهِ** الْمُعْطَاةِ لِي لأَجْلِكُمْ" (أف ٣: ٢).

✞"أُنِيرَ الْجَمِيعَ فِي مَا هُوَ شَرِكَةُ **السِّرِّ الْمَكْتُومِ** مُنْذُ الدُّهُورِ فِي اللهِ خَالِقِ الْجَمِيعِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ" (أف ٣: ٩).

✞ "حَسَبَ **قَصْدِ الدُّهُورِ** الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (أف ٣: ١١).

✞"بِمُقْتَضَى **الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ** الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا أُظْهِرَتِ الآنَ بِظُهُورِ مُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ بِوَاسِطَةِ الإِنْجِيلِ" (٢تى ١: ٩، ١٠).

فعبارة "تَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ" الواردة في (أف ١: ١٠) وردت فيها كلمة "تدبير" باليونانية Οἰκονομία "إيكونوميا". والمقصود بعبارة "تَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ" أي تدبير الخلاص، لأنه يقول في نفس الآية "حَسَبَ مَسَرَّتِهِ الَّتِي قَصَدَهَا فِي نَفْسِهِ"، ويقول في (٢تى ١: ٩، ١٠) "بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ... الَّذِي

أَبْطَلَ الْمَوْتَ وَأَنَارَ الْحَيَاةَ وَالْخُلُودَ". أليس هذا إشارة إلى صلب المسيح وموته المحيي وقيامته المجيدة من الأموات؛ إذ أبطل الموت بموته وأنار الحياة والخلود بقيامته.

إذن فعبارة "تَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ" تحمل معنى التجسد الإلهي كقول بولس الرسول "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ" (غل ٤: ٤)، وتحمل معنى صلب المسيح، وقيامته، وصعوده إلى السماوات حيث جمع الآب "كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ" (أف ١: ١٠)، والتي أعقبها حلول الروح القدس على الكنيسة في يوم الخمسين حسب موعد الآب. لهذا أكمل بولس الرسول كلامه عن "تَدْبِيرِ مِلْءِ الأَزْمِنَةِ" بقوله "الَّذِي فِيهِ أَيْضًا أَنْتُمْ، إِذْ سَمِعْتُمْ كَلِمَةَ الْحَقِّ، إِنْجِيلَ خَلاَصِكُمُ، الَّذِي فِيهِ أَيْضًا إِذْ آمَنْتُمْ خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ" (أف ١: ١٣).

فالإيكونوميا تشمل أيضًا كما أوضحنا تدبير إرسال الروح القدس في الزمن بعد صعود السيد المسيح إلى المقدس السماوي ليتراءى أمام الله الآب لأجلنا.

والروح القدس أرسله الابن من الآب. أما انبثاق الروح القدس الأزلي فهو ليس من "التدبير"، وهو من الآب فقط، ويخص "الثيئولوجيا"

أي في علاقة الروح القدس بالآب منذ الأزل في الجوهر الإلهي الواحد.

الطاقة (إنريجيا)

Energia – Ἐνέργια

من التعبيرات اللاهوتية الهامة تعبير ἐνέργια (إنريجيا) باليونانية، ومعناه "طاقة" باللغة العربية، و energy بالإنجليزية.

وعندما نقرأ كتابات الآباء القديسين نجدهم يميزون بين الكلام عن الجوهر "أوسيا" وعن الطاقة "إنريجيا". ويقولون إن كل نعمة وكل عطية وكل طاقة إلهية لها أصلها في الآب وتتحقق من خلال الابن في الروح القدس.[1] لأن القدرة أو الطاقة الإلهية واحدة للأقانيم الثلاثة ويسمونها باللغة اليونانية συνεργία (سينيرجيا– synergia).

---

[1] القديس غريغوريوس أسقف نيصص قال: "كل عملية تأتي من الله إلى الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها. لها أصلها من الآب وتأتي إلينا من خلال الابن وتكتمل في الروح القدس."

P. Schaff & H. Wace, *Nicene & Post Nicene Fathers*, series 2, Vol. V, Gregory of Nyssa, Eerdmans Pub. 1978, p. 334.

القديس أثناسيوس قال: "الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح القدس."

St. Athanasius, 3rd letter to Serapion, chapter 5 (Shapland, 174-175).

وقال: "الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة في الروح القدس."

St. Athanasius, 1st letter to Serapion, chapter 28 (Shapland, 134-135).

لأنه لا توجد قدرة للآب ليست للابن، أو ليست للروح القدس، بل "قدرة واحدة" للثالوث القدوس.

ولذلك نستطيع أن نؤكد أن كل ما يصدر عن الآب والابن والروح القدس معًا هو طاقة أو قدرة أو عطية. أما ما يصدر عن الآب وحده فليس طاقة أو قدرة ولكن أقنوم بنفس جوهره. أي أن الابن يولد من الآب وله نفس الجوهر الإلهي الذي للآب. والروح القدس ينبثق من الآب وله نفس الجوهر الإلهي الذي للآب. فالجوهر الإلهي واحد وهو في الآب والابن والروح القدس أي "واحد في ثالوث". وفي الجوهر الإلهي الواحد يوجد ثلاثة أقانيم متساوية أي "ثالوث في واحد".

وعندما يقول السيد المسيح أن "كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي" (يو ١٦: ١٥). فهو يقصد أن كل الجوهر الإلهي الذي للآب هو له، وأن كل القدرات الإلهية التي للآب هي له. لأنه مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته. ولا يقصد طبعًا أن يقول إن "الأبوة" في الثالوث هي له لأنه يختص الآب بخاصية "الأبوة" في نفس العبارة بقوله عنه أنه "الآب".

الخواص الأقنومية هي أن "الأبوة" للآب، و"البنوة" للابن، و"الانبثاق" للروح القدس، وهذه الخواص الأقنومية المتمايزة لا تتعارض مع وحدانية الجوهر.

لهذا يشرح القديس أثناسيوس الرسولي ويقول كتشبيه أن الماء الذي في الينبوع هو نفسه الماء الذي في التيار. الينبوع والد والتيار مولود ولكن "لكليهما نفس الماء الواحد".[٢]

ونعود للكلام عن "الطاقة" فنقول إن ما يمنحه الروح القدس هو عطايا ومواهب وقدرات أو طاقات "سَتَنَالُونَ **قُوَّةً** مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ" (أع ١: ٨).

أي أن الروح القدس عندما يحل فإنه يمنح طاقةً "إنريجيا" وليس جوهرًا "أوسيا"؛ حتى وإن كان أقنوم الروح القدس نفسه هو الفاعل والمانح، ولكنه يمنح طاقاته وليس جوهره.

الحلول بالجوهر في طبيعة بشرية لم يحدث إطلاقًا إلا في مسألة واحدة فقط وهي "تجسد الكلمة" أي في اتحاد أقنوم الكلمة اتحادًا "بحسب الطبيعة" مع طبيعته الإنسانية التي بلا خطية وهي التي

---

[2] *N.&P.N. Fathers*, series 2, Vol. IV, Eerdmans Pub. Company, Sep. 1978, St. Athanasius, Expositio Fidei (Statement of Faith) P. 84.

أخذها من العذراء مريم بفعل الروح القدس. وهذا هو ما نسميه "الاتحاد الأقنومي" بين اللاهوت والناسوت في تجسد الله الكلمة.

الجوهر

Ousia - Οὐσια

توجد أربعة مصطلحات في العلوم اللاهوتية لها علاقة بعلم طبيعة المسيح Christology (المسيحانية) أي علم تجسد الكلمة وهي:

١-**الجوهر** وبالإنجليزية **Essence** وباليونانية **Οὐσια** (Ousia).

٢-**الطبيعة** وبالإنجليزية **Nature** وباليونانية **Φύσις** (Physis).

٣-**الأقنوم** وبالإنجليزية وباليونانية **ὑπόστασις** (Hypostasis)

٤-**الشخص** وبالإنجليزية **Person** وباليونانية **Πρόσωπον** (Prosopon).

ويلزمنا معرفة كيف استخدم الآباء القديسون هذه التعبيرات في القرون الأولى للمسيحية في شرح الإيمان، وكيف استخدموها في المجامع المسكونية في نيقية ٣٢٥م، والقسطنطينية ٣٨١م، وأفسس ٤٣١م. وكذلك ما ورد منها أحيانًا بالأسفار الإلهية في العهد الجديد.

ونبدأ بشرح المصطلح الأول وهو "**الجوهر**" **Οὐσια**

"**الجوهر**" هو "**الما هو**" أي ما هو الوجود أو الكينونة للكائن أو الشيء، وبالنسبة للأشياء المنظورة المحسوسة هو المادة التي يتكون منها هذا الشيء.

فإذا أخذنا المصوغات الذهبية كمثال فإن الجوهر هو مادة الذهب إذا كانت ذهبًا خالصًا أي ليس مضافًا إليه نسبة من النحاس. ويكون في هذه الحالة هذا الجوهر جوهرًا بسيطًا غير مركَّب من جوهرين أو أكثر.

وهناك جوهر روحي مثل جوهر الله، وجوهر الملائكة. الجوهر الإلهي بسيط أي غير مركب، وجوهر الملائكة بسيط أي غير مركب. والجوهر الروحي ليس جوهرًا ماديًا محسوسًا ولكن يمكن التعبير عنه بصورة منظورة مؤقتة، فالجوهر الإلهي تم التعبير عنه بخاصية خاصة بأحد الأقانيم كظهورات الابن الكلمة السابقة لتجسده أو علامات من الروح القدس أو بتجسد الابن الكلمة الذي قيل عنه "اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (١تى ٣: ١٦). ولكن يبقى الجوهر الإلهي غير محسوس وغير منظور وغير مقترب إليه مع أنه كائن في كل مكان وفي كل زمان.

أما الجوهر الملائكي فيمكن التعبير عنه بقدرة إلهية معجزية كظهورات الملائكة. وكذلك بالنسبة لأرواح القديسين الذين رقدوا؛ فإنها تظهر أيضًا بقدرة معجزية من الله، مثل ظهور موسى بعد وفاته مع السيد المسيح وإيليا النبي على جبل التجلي.

إذا اتحد جوهران ببعضهما يكون الناتج جوهرًا واحدًا مركبًا مثل اتحاد الروح الإنساني بجسده الخاص لتكوين جوهر بشري واحد. وهذا الاتحاد هو بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. أي أن الروح لم يتحول إلى جسد، والجسد لم يتحول إلى روح.

كذلك في اتحاد الجوهر الإلهي بالجوهر البشري بالمسيح لتكوين جوهر واحد متجسد لله الكلمة وهو اتحاد بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

وقد ورد تعبير "**جوهر**" في قانون الإيمان النيقاوي–القسطنطيني في عبارة عن الابن الوحيد الجنس باللغة اليونانية "هومو أوسيون تو باتري" (ὁμοούσιον τῷ Πατρί – Homo–ousion tou Patri) أي "له نفس الجوهر الذي للآب" وهذا طبعًا من حيث لاهوته.

الطبيعة

Physis – Φύσις

قلنا إن تعبير "الجوهر" يعنى "الماهو"، أما تعبير "الطبيعة" فيعني "مجموع صفات الجوهر".

وإذا أخذنا الذهب كمثال فإن "جوهر الذهب" هو مادة الذهب أما "طبيعة الذهب" فهو أنه لا يصدأ (أي بطيء التفاعل الكيمائي)، جميل المنظر، لامع، ممتاز التوصيل للكهرباء، رديء التوصيل للحرارة، غالي الثمن لندرته... وهكذا.

وكلمة طبيعة بالإنجليزية هي Nature وباليونانية هي φύσις – Physis (فيزيس)، ومنها جاءت الكلمة العربية "فيزياء" بمعنى طبيعة. لذلك ففي كلية العلوم يسمى "معمل الطبيعة" بلقب "معمل الفيزياء" و"علم الطبيعة" يسمى "علم الفيزياء".

في معمل الفيزياء يتم اختبار خواص المواد من ناحية التفاعلات الكيميائية والتوصيل الكهربائي والحراري، والحرارة النوعية، والكثافة، والقوة في الشد والضغط؛ وبالنسبة للسوائل تقاس اللزوجة.

في المجال الروحي واللاهوتي نفهم أن "الطبيعة" هي التي تحدد نوع الكائن. فالطبيعة الإلهية تختلف عن الطبيعة الملائكية وعن الطبيعة البشرية. فلكل طبيعة جوهرها وخواصها. الطبيعة الإلهية غير مخلوقة، روحية، بسيطة أي غير مركبة، تتصف باللامحدودية فوق الزمان والمكان، والقدرة على كل شيء، وتتصف بالقداسة المطلقة، والمحبة، والحياة، والحق، والحكمة الفائقة، والمعرفة الكلية، وعدم التغيّر، والعدل، والرحمة... والصفات الإلهية كلٌّ لا يتجزأ ونتكلم عنها من حيث التفاصيل وليس من حيث الفصل بينها. فالله مثلاً رحيم في عدله وعادل في رحمته.

أما الطبيعة البشرية فهي طبيعة مخلوقة، ومحدودة، ومركبة من طبيعتين متحدتين في طبيعة واحدة بغير اختلاط ولا امتزاج؛ بحيث لا تتحول إحدى الطبيعتين إلى الأخرى أو تذوب فيها. أي لا يتحول الجسد إلى روح ولا الروح إلى جسد بسبب اتحادهما.

يوجد ارتباط وثيق بين تعبير "الجوهر" وتعبير "الطبيعة". ففي صلاة باكر في الأجبية نقول: "نسجد للثالوث القدوس بلاهوت واحد، وطبيعة واحدة نسبحه ونباركه إلى الأبد". فحينما نقول "لاهوت

واحد" عن الثالوث القدوس نقصد جوهر إلهي واحد أو طبيعة إلهية واحدة.

فمن هذا نفهم ترابط معنى "الجوهر" ousia مع معنى "الطبيعة" Physis فالجوهر الواحد له بالضرورة طبيعة واحدة. والطبيعة الواحدة هي بالضرورة تعبير عن الجوهر الواحد.

الأقنوم

Hypostasis – ὑπόστασις

هذا هو التعبير الثالث من تعبيرات "علم المسيح" Christology.

"الأقنوم" كلمة سريانية الأصل؛ هي "قنومو" في اللغة السريانية الغربية وهي "قنوما" في اللغة السريانية الشرقية. ونفس التعبير باللغة اليونانية هو "هيبوستاسيس" (ὑπόστασις – hypostasis)؛ وهو مكون من مقطعين "هيبو" (υπο – hypo) أي "تحت"، و"ستاسيس" (στασις– stasis) أي "القائم"؛ ومعناه "تحت القائم".

وقد ورد باللغة اليونانية في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين "أَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ **الثِّقَةُ** بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى" (عب ١١: ١). وورد هنا بمعنى "الثقة" أي أن الرجاء القائم على الثقة هو أحد مقومات الإيمان.

أما في "الكريستولوجية" فهو يعني "جوهر مشخصن" أو "طبيعة مشخصنة". أي أن شخص الله الكلمة؛ أي شخص الابن الوحيد الجنس مع جوهره الإلهي هو "أقنوم الله الكلمة". فالجوهر الإلهي يتشخصن في ثلاثة أقانيم غير منفصلة في الجوهر ومتمايزة في

الشخصية، فشخصية "الأبوة" تخص الآب وحده. وشخصية "البنوة" تخص الابن وحده. وشخصية "الانبثاق من الآب" تخص الروح القدس وحده. وذلك بالرغم من وحدتهم في الجوهر الإلهي الواحد ولا يوجد في الوجود كله ما يطابق ذلك في الخليقة. لأن أقنوم الإنسان هو جوهر بشري مشخصن؛ ولكنه ليس واحدًا في الجوهر مع أي إنسان آخر، ولا تجمعه كينونة واحدة مع أي إنسان آخر، بالرغم من التساوي في الجوهر بينهما؛ ولكنهما منفصلين في الجوهر.

وقد استخدم القديس كيرلس الكبير السكندري تعبير الأقنوم البشري في رسالته إلى فالريان أسقف إيقونية في الفقرة رقم (٦)،[٣] إلى جوار استخدامه تعبير "الأقنوم" hypostasis مرارًا كثيرة في كلامه عن الأقانيم الإلهية.

وعندما تجسد أقنوم الكلمة فإنه لم يتخذ شخصًا من البشر، بل اتخذ طبيعة بشرية كاملة بلا خطية وشخصنها في شخصه الخاص

---

[٣] مؤسسة القديس أنطونيوس مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء ٣٤، رسائل القديس كيرلس، الجزء الثالث، ديسمبر ١٩٩٥ الرسالة ٥٠ إلى فاليريان أسقف أيقونية، فقرة ٦، صفحة ١١٧.

Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 50 To Valerian Bishop of Iconium, par. 6, p. 214, 215.

وصيرها واحدًا مع لاهوته وبذلك صار هو أقنوم الكلمة المتجسد الواحد.

أقنوم الكلمة كانت له الطبيعة الإلهية قبل كل الدهور ولكنه حينما تجسد في ملء الزمان صارت له طبيعة واحدة مركبة من طبيعتين أي الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية في اتحاد طبيعي natural union وأقنومي hypostatic union بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغير ولا انفصال ولا تقسيم. بحيث لم تتلاشى إحدى الطبيعتين بسبب الاتحاد بل نقول "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة" وليس "طبيعة وحيدة" monophysis لأننا نرفض هذا التعبير.

الشخص

Prosopon – Πρόσωπον

تعبير "الشخص" هو التعبير الرابع في "علم المسيح" Christology.

"شخص" باللغة العربية، أما باللغة الإنجليزية فهو Person، و Persona باللغة اللاتينية، و"بروسوبون" Πρόσωπον (Prosopon) باللغة اليونانية.

وتعبير "بروسوبون" اليوناني مكوّن من مقطعين: "بروس" πρός (pros) أي "نحو"، و"أوبس" ὤψ (ops) أي "وجه"، فيكون معناه "نحو وجه". أي أن "الشخص" هو من يتجه نحو وجه الآخر أو يشخص نحوه.

والشخص يعبّر عن الشخصية، وهو ما يميّز إنسانًا عن آخر. فبالرغم من أن بطرس وبولس لهما نفس الطبيعة البشرية، ولكن ما يميّزهما هو شخص بطرس وشخص بولس.

الشخص هو من يتجه نحو الآخر ويتبادل معه العلاقات والحب. وهو صاحب الإرادة Will والقرار Decision، وهو حامل الطبيعة أو

الجوهر، ويتصرف بمقتضى إمكانيات طبيعته. فشخص الملاك له قدرات تختلف عن شخص الإنسان.

الرغبة Desire عند الشخص تأتي من طبيعته ويسمونها مجازًا "الإرادة الطبيعية" ولكن القرار هو قراره Decision والقرار هو ما يصدر عن الإرادة الشخصية.

فالإنسان مثلاً مكوَّن من طبيعتين وله رغبتان إحداهما روحية والأخرى جسدية ولكن له قرار شخصي واحد لأنه شخص واحد بإرادة واحدة هي الإرادة الشخصية.

وقد قلنا إن "الأقنوم" هو "طبيعة مشخصنة" أو "جوهر مشخصن" وإن الأقنوم البشري منفصل في جوهره وكينونته عن أي أقنوم بشري آخر. أما الأقانيم الإلهية الثلاثة فهي غير منفصلة في الجوهر أو الكينونة. لأن الجوهر الإلهي واحد، والطبيعة الإلهية واحدة، ولا يوجد في الوجود كله ثلاثة أقانيم بجوهر واحد إلا في الثالوث القدوس؛ أي الآب والابن والروح القدس.

وكما قال مثلث الرحمات قداسة البابا شنودة الثالث إن الأقانيم الثلاثة لهم إرادة واحدة من حيث النوع (لسبب وحدة الجوهر)، وثلاث إرادات (لسبب التمايز الأقنومي) من حيث العدد.

وتتمايز الأقانيم الإلهية في الشخصية فقط. فشخصية "الأبوة" للآب وحده، وشخصية "البنوة" للابن وحده، وشخصية "الانبثاق" للروح القدس وحده. ولكن كل أقنوم متجه كليًا نحو الآخر، ويبادله المحبة منذ الأزل لأن "اللهَ مَحَبَّةٌ" (١يو ٤: ٨، ١٦).

وينبغي أن نتذكر باستمرار أن تعبير ثلاثة أقانيم إلهية يحمل في آنٍ واحد معنى الوحدانية في الجوهر والطبيعة، والتمايز فقط في الشخصية. وهذا التمايز لا يتعارض مع الوحدة. فمثلث الذهب مثلاً له جوهر واحد يملأ المثلث وفي نفس الوقت له ثلاث رؤوس متمايزة.

وينبغي أن نلاحظ أيضًا أن المحبة بين الأشخاص أيًا كانوا لا تؤدّى إطلاقًا أن يكونوا شخصًا واحدًا. فالرجل والمرأة مثلاً يصيران جسدًا واحدًا (تك ١: ٢٤، مت ١٩: ٢٥) في الزواج. ولكنهما لا يصيران شخصًا واحدًا. وإلا فكيف يتبادلان المحبة، ويتجهان الواحد نحو الآخر؟

وسوف نشرح الفرق بين الرغبة الطبيعية Natural Desire والإرادة الشخصية Personal Will.

الفرق بين الرغبة Desire والإرادة Will

وما هو القرار Decision

الشخص الواحد يكون له قرار واحد يتخذه بإرادته ولكن من الممكن أن تكون له أكثر من رغبة إذا كان له أكثر من طبيعة.

فالإنسان مثلاً مكون من طبيعتين: طبيعة الجسد وطبيعة الروح. وهو شخص واحد وله إرادة واحدة يتخذ بها القرار. ولكن له رغبات روحية ورغبات جسدية. وقراره قد يكون بناءً على رغبة الروح أو على رغبة الجسد. فمن الممكن أن يشعر بالجوع جسديًا وهو صائم، ويرغب الجسد في تناول الطعام، ولكنه إذا أراد أن يكمل صومه فسوف يتبع رغبة الروح في الصوم ويقوم بإخضاع رغبة الجسد لها ويكون قراره هو عدم الأكل إلى نهاية موعد الصوم ثم يتناول الطعام بسماح من الروح لأن الجسد أيضًا يحتاج إلى الطعام مثلما يحتاج الروح إلى كلام الله والصلاة.

وليس معنى وجود رغبات للجسد حتى لو كانت بريئة؛ أن الروح ليس له رغبات مختلفة. ولكن "الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا. وَأَمَّا

الرُّوحِيُّ فَيَحْكُمُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ لاَ يُحْكَمُ فِيهِ مِنْ أَحَدٍ" (١كو٢: ١٤، ١٥). وينقاد أيضًا بالروح القدس "لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ" (رو٨ : ١٤).

والكلمة اليونانية "ثيليت" Thelit لها معنيين فهي تعني "الإرادة" Will أو تعني "الرغبة" Desire. لهذا فعند ترجمتها في الإنجيل ينبغي أن نلاحظ السياق الذي وردت فيه لكي نحدد أي التعبيرين نستخدمه.

وليس معنى وجود رغبتين للإنسان أن لديه إرادتين. لأن الإرادة تخص الشخص Personal Will أما الرغبة فتخص الطبيعة Natural Desire. وبالرغم من اتحاد الروح والجسد في الإنسان في طبيعة بشرية واحدة إلا أن الروح لا يتحول إلى جسد ولا الجسد يتحول إلى روح بسبب الاتحاد. هكذا أيضًا فإن الرغبات الروحية والرغبات الجسدية لا تذوبان في بعضهما ولكن يمكن التوفيق بينهما بقيادة الروح القدس.

وبالنسبة للسيد المسيح أي الله الكلمة المتجسد، فله طبيعة واحدة متجسدة من طبيعتين: الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، متحدتين بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير. وله إرادة واحدة شخصية؛ لأن شخصه واحد فريد غير مركّب من شخصين؛ وهو شخص الله

الكلمة الخاص بذات أقنومه. ولا يجوز أن نقول إن له إرادة إلهية وأخرى بشرية. فإرادته واحدة وقراره واحد. ولكن فيه رغبات إلهية وأيضًا رغبات بشرية عند تجسده بلا خطية؛ مثل الجوع، والعطش، والرغبة في الحياة، وعدم الرغبة في مواجهة الخيانة والجحود؛ لأن الناسوت لم يتحوَّل إلى لاهوت بسبب الاتحاد.

لهذا في ليلة آلامه قال للآب السماوي "إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ وَلَكِنْ لَيْسَ كَمَا أرغبُ أَنَا بَلْ كَمَا أَنْتَ" (مت ٢٦: ٣٧).

والمقصود هنا أن القرار هو ليس بحسب الرغبة الإنسانية بل بحسب رغبة الآب التي هي نفسها رغبة الابن والروح القدس الإلهية.

وبهذا نفهم كيف أن الابن قد أطاع الآب أي أن رغباته الإنسانية كانت دائمًا في خضوع لرغبات الآب السماوي؛ كقول معلمنا بولس الرسول: "مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ" (عب٥: ٨).

فهو من حيث أنه ابن الله له نفس نوع إرادة الآب أما من حيث أنه هو نفسه ابن الإنسان فله رغبات بشرية كانت في خضوع تام لإرادة الآب، وليس للمسيح إرادتان إحداهما بشرية والأخرى إلهية بل إرادة شخصية واحدة.

وكما ذكرنا أن مثلث الرحمات البابا شنودة الثالث قال إن أقانيم الثالوث القدوس لهم إرادة واحدة من حيث النوع وثلاث إرادات من حيث العدد. فلكل أقنوم إرادة يحب بها الأقنومين الآخرين ولكن هذه الإرادة هي نفس إرادة هذين الأقنومين كما أن لهم نفس الجوهر الإلهي والواحد.

بين الطبيعة والأقنوم
عند القديس كيرلس الكبير

يحاول بعض الدارسين في علم الكريستولوجي Christology أي المسيحيانية أن يؤكدوا أن القديس كيرلس الكبير قد استخدم تعبير "طبيعة" بمعنى "أقنوم"، وأنه حينما كتب تعبيره المشهور "طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله" كان يقصد فقط "أقنوم واحد متجسد لكلمة الله".

ولكن القديس كيرلس أكّد في كتاباته أن تعبير "الأقنوم" مرتبط بشخص أي أن تعبير "أقنوم" هو طبيعة مشخصنة أو الشخص مع الطبيعة التي يحملها. ولذلك رفض بشدة فكرة أن يكون الكلمة المتجسد هو من أقنومين لأن ذلك بالنسبة له يعني أنه من شخصين شخص ابن الله وشخص ابن الإنسان وهو الأمر الذي علّم به نسطور وحرمته الكنيسة في المجمع المسكوني الثالث بأفسس سنة ٤٣١م.

وفي رسالته الثالثة إلى نسطور (الرسالة رقم ٤ الفقرة ٧) كتب القديس كيرلس الكبير:

"إنه لن يكون نافعًا بأي طريقة، أن يكون التعليم الصحيح للإيمان هكذا، حتى لو أقر البعض بالاتحاد بين الأشخاص. لأن الكتاب لم يقل أن الكلمة قد وحّد شخصًا من البشر بنفسه، بل أنه صار جسدًا والكلمة إذ قد صار جسدًا لا يكون آخر. إنه اتخذ دمًا ولحمًا مثلنا."[٤]

وفي رسالته إلى فالريان أسقف إيقونية (الرسالة ٥٠ الفقرة ٢٨) كتب ضد النساطرة يقول:

"إن كانوا يتظاهرون بالقول بشخص واحد للمسيح، بينما أن هناك أقنومين منفصلين ومتميزين، فبالضرورة هناك شخصان أيضًا."[٥]

---

[٤] مؤسسة القديس أنطونيوس مركز دراسات الآباء، نصوص آبائية ٥٦، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، يوليو ٢٠٠١، الرسالة ٤ إلى نسطور الفقرة ٧، صفحة ١١.

Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 4, par. 7, p. 41.

[٥] مؤسسة القديس أنطونيوس مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء ٣٤، رسائل القديس كيرلس، الجزء الثالث، ديسمبر ١٩٩٥ الرسالة ٥٠، فقرة ٢٨، صفحة ١٣٣.

Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 50, par. 28, p. 226.

ولتفسير موضوع الشخص الواحد عند النساطرة فإنهم يعتقدون بأن المسيح مكون من شخصين اتحدا معًا في الصورة والكرامة والسلطة وكونا معًا شخصًا واحدًا مركبًا. فهو اتحاد صوري خارجي فقط مع فصل الطبيعتين. ويتكلمون عن الاتصال بين الطبيعتين ويرفضون عقيدة الاتحاد بينهما؛ لأن الله الكلمة في نظرهم لا يمكن أن يتجسد ولا أن يولد من عذراء ولا أن يصلب ويموت على الصليب. وبذلك يضيع كل معنى الفداء والخلاص الذي صنعه المسيح لأجلنا. وهم يخلطون بين تعبير "الله" وتعبير "اللاهوت" فنحن نؤمن أن الله الكلمة قد ولد من العذراء مريم بحسب ناسوته وليس بحسب لاهوته. لأن لاهوته مولود من الآب قبل كل الدهور. ونؤمن أنه صلب ومات على الصليب بحسب الجسد وليس بحسب لاهوته؛ لأن اللاهوت لا يموت ولا يتألم.

والقديس كيرلس الكبير يؤكد أن الكلمة المتجسد هو من طبيعتين ويقول في رسالته إلى سكسنسوس أسقف ديوقيصرية (الرسالة ٤٥ الفقرة ٦):

"لذلك فحينما تكون لنا هذه الأفكار، فنحن عندما نقول إنه كان من طبيعتين فنحن لا نجرح الوحدة، ولكن بعد الاتحاد لا

نفصل الطبيعتين إحداهما عن الأخرى، ولا ونجزئ الابن الواحد غير المنقسم إلى ابنين، بل نقول بابن واحد، وكما قال الآباء: طبيعة واحدة متجسدة لكلمة الله."[٦]

[٦] مؤسسة القديس أنطونيوس مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء ٣٤، رسائل القديس كيرلس، الجزء الثالث، ديسمبر ١٩٩٥، الرسالة ٤٥ إلى سوكسينسوس الفقرة ٦، صفحة ٩٠.

Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987. Letter 45, Par. 6, p. 193.

الاتحاد الأقنومي

Hypostatic Union – ἕνωσις καθ’ ὑπόστασιν

تعبير "الاتحاد الأقنومي" باللغة الإنجليزية هو hypostatic union وهو يعنى اتحاد طبيعتين متمايزتين اتحادًا طبيعيًا في شخص واحد. وقد استخدم القديس كيرلس الكبير هذا التعبير عن اتحاد الطبيعة الإلهية بالطبيعة البشرية في شخص الله الكلمة، مؤكدًا أن الله الكلمة في تجسده لم يتخذ شخصًا من البشر، ولكنه بنفس شخصه الواحد قد اتخذ الطبيعة البشرية الخاصة به بغير خطية من العذراء القديسة مريم بفعل الروح القدس، وبهذا فإن أقنوم كلمة الله المتجسد الواحد هو نتيجة اتحاد الطبيعتين في الشخص الواحد لله الكلمة بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

وينبغي أن نلاحظ أن الاتحاد الأقنومي بين اللاهوت والناسوت هو أمر يخص تجسد الله الكلمة وحده، ولا ينطبق على البشر إطلاقًا لأن حلول الروح القدس في الإنسان هو للسكنى ومنح النعمة، أما حلول الله الكلمة في الناسوت فهو بالاتحاد الطبيعي والأقنومي

وليس مجرد سكنى لهذا قال القديس كيرلس في رسالته الثالثة إلى نسطور (الرسالة ١٧ الفقرة ٩):

"وإذ نعترف بكل تأكيد أن الكلمة اتحد بالجسد أقنوميًا، فإننا نسجد لابن واحد الرب يسوع المسيح... ولسنا نقول إن كلمة الله حل في ذلك المولود من العذراء القديسة، كما في إنسان عادي، لكي لا يُفهم أن المسيح هو "إنسان يحمل الله". لأنه حتى إن كان "الكلمة حل بيننا" فإنه أيضًا قد قيل إن في المسيح "يحل كل ملء اللاهوت جسديًا" (كو ٢: ٩). لذلك إذن نحن ندرك أنه إذ صار جسدًا **فلا يقال عن حلوله إنه مثل الحلول في القديسين، ولا نحدد الحلول فيه أنه يتساوى وبنفس الطريقة كالحلول في القديسين. ولكن الكلمة إذ اتحد "حسب الطبيعة"** κατὰ Φύσιν **(kata physin) ولم يتغيّر إلى جسد، فإنه حقق حلولاً مثلما يقال عن حلول نفس الإنسان في جسدها الخاص."**[٧]

---

[٧] مؤسسة القديس أنطونيوس مركز دراسات الآباء، نصوص آبائية ٥٦، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكى، يوليو ٢٠٠١، الرسالة ١٧ إلى نسطور الفقرة ٩، صفحة ١٧، ١٨.

وينبغي أن نلاحظ أن القديس كيرلس قد استخدم تشبيه اتحاد روح الإنسان بجسده ليشرح كيف كوّن اللاهوت والناسوت طبيعة واحدة في الاتحاد. وعاد فأكد ذلك في رسالته إلى فالريان أسقف إيقونية (الرسالة ٥٠ الفقرة ٦) فقال:

"يُعتَرَف أن أقنوم hypostasis الإنسان هو واحد وأن طبيعته واحدة، حتى بالرغم من أنه معروف عنها أنها مكونة من عناصر مختلفة متباينة الأنواع. لأن من المعروف أن الجسد من طبيعة مختلفة عن النفس، لكنه جسد النفس، ويكمّل أقنوم الإنسان الواحد. ورغم أن الفرق المذكور بين النفس والجسد ليس غامضًا في عقلنا وتفكيرنا. إلا أن اجتماعهما معًا أو تقابلهما –لأنه غير مقسّم– يكوّن إنسان واحد حي.

إذن لم يأت (يظهر) كلمة الله الوحيد الجنس كإنسان بأن أخذ إنسانًا، بل –رغم أنه مولود بطريقة غير موصوفة من الله الآب– تأنس."[٨]

Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 17, Par. 9, p. 83, 84.

[8] Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 50, Par. 6, p. 214, 215.

الاتحاد الطبيعي

Natural Union – Ἕνωσις Φυσική

نلاحظ أن القديس كيرلس الكبير قد اهتم جدًا في تعليمه بشأن تجسد الله الكلمة بتعبير "الاتحاد الطبيعي" جنبًا إلى جنب مع تعبير "الاتحاد الأقنومي" بين اللاهوت والناسوت.

وسوف نحاول إيضاح السبب في ذلك على قدر المستطاع:-

أولاً: إن "الاتحاد الأقنومي" في معناه الصحيح هو اتحاد طبيعتين أو أكثر في شخص واحد وحيد أي شخص غير مركب من شخصين أو أكثر. لأن تركيب الأشخاص هو شيء مستحيل. لأن الشخص هو من يشخص أو يتجه نحو الآخر ويتبادل العلاقة معه فكيف يتجه الشخص نحو شخصه أو نحو وجهه ويتبادل العلاقة مع شخصه الخاص؟!

فعلى الذين يترددون أو يرفضون عبارة "الاتحاد الطبيعي" وهي باللغة اليونانية "إينوسيس فيزيكى" ἕνωσις φυσική أو "إينوسيس كاتا فيزين" ἕνωσις κατὰ φύσιν .. على من لا يقبلونها كأساس للتعليم الكريستولوجي الآبائي الصحيح أن يشرحوا لنا معنى تعبير

"الاتحاد الأقنومي"؛ بمعنى هل هو اتحاد أشخاص أم اتحاد طبائع؟ لأن الأقنوم هو الشخص مع الطبيعة التي يحملها أي هو "طبيعة مشخصنة". فإذا قبلنا تعبير "الاتحاد الأقنومي" فإن هذا سوف يعني بالضرورة إما اتحاد شخصين ولكل منهما طبيعته الخاصة به بغير اتحاد طبيعي.. أو اتحاد طبيعتين في شخص واحد وحيد.

ومن المعلوم أن التعليم بالاتحاد بين شخصين في المسيح هو تعليم نسطوريوس الذي حرمته الكنيسة في مجمع أفسس ٤٣١م. وذلك لأنه كان يعتبر أن يسوع هو شخص "ابن الإنسان" وأن الله الكلمة هو شخص "ابن الله". وأن الشخصين قد اتحدا اتحادًا خارجيًا صوريًا في شخص مركب من شخصين. وأنهما قد تبادلا الصورة بقرض بسيط by simple loan and exchange. وبهذا يكون يسوع ليس هو "ابن الله" ولا هو "الله الكلمة المتجسد" بل هو إنسان حل فيه "الله الكلمة" مثل حلول الروح القدس في الأنبياء والقديسين. وبذلك أنكر نسطور ألوهية السيد المسيح؛ وبالتالي أنكر أن السيدة العذراء القديسة مريم هي "والدة الإله"، وباللغة اليونانية Θεοτόκος "ثيئوطوكوس". وسمّاها "والدة المسيح"، وباللغة اليونانية Χριστότοκος "خريستوطوكوس".

ثانياً: إن "الاتحاد الطبيعي" بين اللاهوت والناسوت في المسيح هو ضروري جدًا لخلاص البشرية. لأنه كيف يكون دم المسيح مطهّرًا من الخطايا إن لم يكن متحدًا اتحادًا طبيعيًا باللاهوت؟! وكيف تكون ذبيحته المحدودة الحجم –حسب إنسانيته– على الصليب ذات قيمة غير محدودة لتكفّر عن خطايا العالم كله، حتى أن بولس الرسول قال "إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ. فَالْجَمِيعُ إِذاً مَاتُوا" (٢كو٥: ١٤)؟

ليتنا جميعًا في كل الكنائس الأرثوذكسية نرفع معًا شعار "الاتحاد الطبيعي"؛ مثلما وقعّت عليه كل من العائلتين الأرثوذكسيتين في نص الاتفاق اللاهوتي في شامبيزي بسويسرا في ٢٨ سبتمبر ١٩٩٠م سعيًا نحو الوحدة الأرثوذكسية بمعونة الرب وبصلوات القديسين.

الاتحاد الأقنومي
في تعليم القديس كيرلس الكبير

في نص الفقرة (٩) من رسالة القديس كيرلس الكبير الثالثة إلى نسطور شرح أن "الاتحاد الأقنومي" في تجسد الله الكلمة هو "اتحاد طبيعي" أي "حسب الطبيعة" (κατὰ φύσιν كاتا فيزين) بين لاهوته وناسوته، وفي نص الفقرة (٧) من نفس الرسالة كما ذكرنا سابقًا يؤكد أن الكلمة المتجسد ليس من شخصين بل هو بنفس شخصه قد صار جسدًا، ونضيف هنا الفقرة (٣) من الرسالة رقم ٤ وهي الرسالة الأولى لنسطور:

"ولذلك قال المجمع المقدس العظيم (مجمع نيقية ٣٢٥م) أن الابن الوحيد الجنس نفسه مولود من الله الآب حسب الطبيعة، الإله الحق من إله حق، النور الذي من النور، وهو الذي به صنع الآب كل الأشياء، نزل، وتجسد وتأنس، وتألم، وقام في اليوم الثالث وصعد إلى السموات. وينبغي علينا أن نتبع التعاليم والعقائد، مدركين ماذا يعني أنه تجسد. تدل هذه اللفظة على أن الكلمة الذي من الله، تأنس. ونحن لا نقول إن طبيعة

الكلمة تغيرت حينما صار جسدًا. وأيضًا نحن لا نقول إن الكلمة قد تغيّر إلى إنسان كامل من نفس وجسد. بل بالأحرى نقول إن الكلمة قد "وحّد مع نفسه أقنوميًا"، جسدًا مُحيًا بنفس عاقلة، وصار إنسانًا بطريقة لا يمكن التعبير عنها أو إدراكها. وهو قد دُعي ابن الإنسان ليس بحسب الرغبة فقط ولا بحسب الإرادة الصالحة، بل أيضًا ليس باتخاذه شخصًا معينًا. ونحن نقول إنه على الرغم أن الطبيعتين اللتين اجتمعتا معًا في وحدة حقيقية مختلفتان، فإنه يوجد مسيح واحد وابن واحد من الاثنين. إن اختلاف الطبائع لم يبطل بسبب الاتحاد، بل بالحرى فإن هذا الاتحاد الذي يفوق الفهم والوصف كوَّن لنا من اللاهوت والناسوت ربًا واحدًا يسوع المسيح وابنًا واحدًا."[٩]

---

[٩] مؤسسة القديس أنطونيوس مركز دراسات الآباء، نصوص آبائية ٥٦، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، يوليو ٢٠٠١، الرسالة ٤ إلى نسطور الفقرة ٣، صفحة ٩، ١٠.

Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 4 To Nestorius, Par. 3, p. 39.

الفقرة ٤ من نفس الرسالة:

"وهكذا فرغم أن له وجودًا قبل الدهور وقد وُلد من الآب، فإنه يقال أيضًا إنه ولد حسب الجسد من امرأة، كما أن طبيعته الإلهية لا تحتاج لنفسها بالضرورة إلى ولادة أخرى بعد الولادة من الآب. إن القول بأن ذلك الذي هو موجود قبل كل الدهور وهو أزلي مع الآب، يحتاج إلى بداية ثانية لكي يوجد، إنما هو أمر بلا غاية وفي نفس الوقت هو قول أحمق. ولكن حيث إنه من أجلنا ومن أجل خلاصنا "**وحّد الطبيعة البشرية بنفسه أقنوميًا**"، وولد من امرأة، فإنه بهذه الطريقة يقال إنه قد ولد جسديًا. لأنه لم يولد أولاً إنسانًا عاديًا من العذراء القديسة ثم بعد ذلك حلّ عليه الكلمة، بل إذ قد اتحد بالجسد الذي من أحشائها، فيقال إن الكلمة قد قَبِلَ الولادة الجسدية، لكي ينسب إلى نفسه ولادة جسده الخاص."[١٠]

---

[١٠] مؤسسة القديس أنطونيوس مركز دراسات الآباء، نصوص آبائية ٥٦، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، يوليو ٢٠٠١، الرسالة ٤ إلى نسطور الفقرة ٤، صفحة ١٠.

Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 4 To Nestorius, Par. 4, p. 39, 40.

في الفكر فقط

ti theoria mony – Τῇ Θεωρία Μόνη

استخدم القديس كيرلس الكبير تعبير "في الفكر فقط" وهو باللغة اليونانية Τῇ Θεωρία Μόνη (تي ثيئوريا موني) وباللغة الإنجليزية In thought alone للتعبير عن تمييز طبيعتي المسيح اللتين اتحدتا اتحادًا طبيعيًا Natural Union (إينوسيس فيزيكي) لتكوين "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة" One Incarnate Nature of God the Word Μία φύσις τοῦ Θεοῦ Λόγοῦ σεσαρκωμένη (ميا فيزيس تو ثيئو لوغو سيساركوميني). وهو يقصد أنه لا يوجد فارق زمني بين تكوين ناسوت السيد المسيح الكامل، واتحاده باللاهوت منذ اللحظة الأولى للتجسد.

وبالرغم من أن الكلمة المتجسد هو "من طبيعتين" ἐκ δύο φύσεις (إك ذيو فيزيس) out of two natures؛ إلا أننا لا نرى كل طبيعة على حدى في الوجود الواقعي، ولكن بتأمل العقل فقط؛ أي "في الفكر فقط". بحيث نرى الطبيعتين في لحظة الاتحاد وهما تقتربان معًا ليتم منهما الاتحاد. أي أننا في خيالنا نراهما طبيعتين ولكنهما

في الواقع اتحدتا معًا في لحظة تكوين الناسوت، بحيث لا توجد الواحدة كأنها مستقلة عن الأخرى.

والقديس كيرلس قال أيضًا أن كل طبيعة احتفظت بخصائصها الطبيعية الأصلية، واستمرت في الوجود من بعد الاتحاد. بمعنى أن اللاهوت استمر كما هو بغير تغيير، والناسوت استمر كما هو قابلاً للألم وللموت بحسب التدبير بالرغم من اتحاده باللاهوت. ولم يحدث أن الناسوت ذاب في اللاهوت أو تلاشى بسبب الاتحاد.

والمفهوم أن الطبيعة الواحدة المتجسدة لله الكلمة هي طبيعة مركبة وواحدة وتحمل خصائص الطبيعتين. وأن هذا الاتحاد هو بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال.

من أهم الأمور التي تمسَّك بها القديس كيرلس هو أن للمسيح شخصًا واحدًا غير مركّب من شخصين؛ لأن شخص أقنوم الكلمة هو بنفسه الذي اتخذ الطبيعة البشرية الكاملة الخاصة به جدًا من العذراء القديس مريم بفعل الروح القدس. وبهذا تم قول الإنجيل "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يو ١: ١٤) وأكد القديس بولس الرسول ذلك بقوله "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب ١٣: ٨). أي أن المولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته هو نفسه

المولود من العذراء في ملء الزمان بحسب ناسوته بلا خطية وحده. وأكّد القديس كيرلس أن الله الكلمة في تجسده لم يتخذ شخصًا من البشر ولكن طبيعته البشرية وجدت شخصها أي تشخصنت فيه. وبذلك صار أقنوم الله الكلمة أقنومًا مركبًا من طبيعتين بشخص واحد وحيد. وقال القديس كيرلس أيضًا تعبيره المشهور الثاني "أقنوم واحد متجسد لله الكلمة".

ومما يؤكد أن القديس كيرلس لم يستخدم تعبير "طبيعة" بمعنى "أقنوم" هو أنه رفض وبإصرار قبول فكرة أن المسيح مكون من أقنومين متمايزين في الفكر فقط[١١] مع أنه قبل أنه من طبيعتين متمايزتين في الفكر فقط.[١٢] وقال إن قبول أنه من أقنومين يعني بالضرورة أنه من شخصين وبالتالي يكون فيه ابنين: ابن الله وابن الإنسان! وكأن الله الكلمة ليس هو يسوع المسيح حسبما قال نسطور.

---

[١١] أنظر رسالة القديس كيرلس لفاليريان أسقف أيقونية الرسالة رقم ٥٠ الفقرات ٥ و ١٤ و ٢٨.

[١٢] أنظر رسائل القديس كيرلس لأكاكيوس أسقف ميليتين الرسالة رقم ٤٠ الفقرة ١٤؛ والثانية لساكسينسوس أسقف قيصرية الجديدة الرسالة رقم ٤٦ الفقرة ١٢، والأولى رقم ٤٥ الفقرة ٧.

الإخلاء

kenosis – Κένωσις

وردت هذه الكلمة عن ابن الله الكلمة في رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي الأصحاح الثاني إذ كتب يقول "فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (في ٢: ٥–٨). أي أنه لأنه لم يختلس المساواة مع الآب لهذا أمكن أن يخلي نفسه.

كلمة "إخلاء" باللغة اليونانية هي kenosis (كينوسيس) وهي تعبير جميل جدًا؛ لأننا لا نستطيع أن نقول إن الله الكلمة تواضع لكي يمكنه أن يتجسد بل نقول إنه "أَخْلَى نَفْسَهُ" وباللغة الإنجليزية emptied Himself لأن أقنوم الكلمة من حيث لاهوته لا يليق أن نقول إنه تواضع، وإنما نقولها عنه من حيث ناسوته بعد أن تجسد. ومعنى عبارة "أَخْلَى نَفْسَهُ" أنه أخفى مجده الإلهي بالناسوت الذي اتخذه؛ أي بالطبيعة البشرية الخاصة به؛ دون أن يفقد هذا المجد

الذي كان له "قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ" (يو ١٧: ٥). وكون أنه أخفى مجده لكي يتمم الفداء، وكون أنه ارتضى أن يوجد في الهيئة كإنسان لأنه أخذ صورة عبد واتخذ طبيعة بشرية كاملة دون أن تتغير طبيعته الإلهية فهذا معناه أنه أخلى نفسه.

"أَخْلَى نَفْسَهُ" هي ما نعبِّر عنه في قانون الإيمان ونقول "نزل من السماء" وهو يملأ الوجود كله بلاهوته ولكن "نزل" تعني أنه تنازل بقبوله أن يأخذ صورة عبد؛ مثلما يتنازل الأستاذ الجامعي ويدرّس الحساب لتلميذ ابتدائي فينزل إلى مستواه دون أن يفقد علمه الكبير.

ومن المزامير الجميلة التي نرددها في تسابيح شهر كيهك عن تجسد الكلمة "ركب على كروب وطار، وهف على أجنحة الرياح؛ وجعل الظلمة له ستارًا تحيط به مظلته" (مز ١٨: ١٠ حسب الترجمة القبطية).

فعبارة "جعل الظلمة له ستارًا" تشير إلى أنه أخفى مجده الإلهي بالناسوت الكثيف بصورة مؤقتة لحين إتمام الفداء ودخوله بعد ذلك إلى المجد الأول بقيامته وصعوده إلى السماء.

وعبارة "تحيط به مظلته" تشير إلى مظلة الملائكة، أي الكاروبيم الذين أحاطوا به؛ مثلما أمر الرب موسى أن يضع كروبا المجد فوق غطاء تابوت العهد في خيمة الاجتماع.

لقد أخلى السيد المسيح نفسه من حيث لاهوته لكي يتجسد ثم وضع نفسه من حيث ناسوته عندما تجسد وأطاع حتى الموت موت الصليب.

تبادل الألقاب مع الخواص
في السيد المسيح

لقبان للسيد المسيح لهما أهمية خاصة في رسالته الخلاصية التي تضمنت تجسده وتأنسه من الروح القدس ومن العذراء القديسة مريم؛ وهما لقب "ابن الله"، ولقب "ابن الإنسان". وقد لقّب السيد المسيح نفسه بكل من هذين اللقبين.

فمثلاً قال "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو٣: ١٦). ويقصد أن الله الآب قد بذل ابنه الوحيد على الصليب من أجل خلاص كل من يؤمن به. وهو بهذا يتكلم عن نفسه أنه هو "ابن الله" الذي بذله الآب السماوي على الصليب. وبالطبع فإن ما حدث على الصليب هو خاص بموت السيد المسيح المؤقت بحسب الجسد أي بحسب ناسوته وليس بحسب لاهوته.

كذلك قال السيد المسيح "إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ هُوَ رَبُّ السَّبْتِ أَيْضًا" (مت١٢: ٨). ومعروف أن رب السبت هو الله الذي أوحى لموسى النبي بالوصايا العشر؛ ومن ضمنها الوصية الرابعة التي تخص

حفظ يوم الراحة الأسبوعي، وهو يوم الرب الذي صار يوم الأحد في العهد الجديد. مع العلم بأن تعبير "السبت" باللغة العبرية هو "سابات" Sabbath ومعناه الراحة. وليس بالضرورة اليوم الذي تعداده السابع في الأسبوع. مع ملاحظة أن كلمة "سبعة" هي أيضًا مشتقة من كلمة "راحة" التي هي "سابات".

وبهذا نرى من هذين الاقتباسين أن السيد المسيح قد تعمّد أن يستخدم لقبه الإلهي أي "ابن الله" للإشارة إلى ما يخص إنسانيته على الصليب، وأن يستخدم لقبه الإنساني "ابن الإنسان" للإشارة إلى ما يخص ألوهيته في علاقته بيوم الرب. والهدف من ذلك هو تأكيد أن شخصه واحد أي أن شخص أقنوم الله الكلمة هو هو نفسه شخص يسوع المسيح في تجسده لأن "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عب ١٣: ٨).

لذلك فنحن دائمًا نؤكد أن "ابن الله" هو هو نفسه "ابن الإنسان" مثل قولنا في قانون الإيمان المسيحي "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد الجنس المولود من الآب قبل كل الدهور... هذا الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس". فالذي ولد من

الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته هو هو نفسه وليس آخر الذي ولد من العذراء في ملء الزمان بحسب ناسوته.

كذلك نؤكد أن يسوع هو المسيح مثل قول معلمنا يوحنا الرسول في رسالته الأولى "كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ" (١ يو ٥: ١).

الموت النيابي

يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس: "إِذْ نَحْنُ نَحْسِبُ هَذَا: أَنَّهُ إِنْ كَانَ وَاحِدٌ قَدْ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ فَالْجَمِيعُ إِذاً مَاتُوا" (٢كو٥:١٤). وأيضًا في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس يقول: "لأَنَّهُ كَمَا فِي آدَمَ يَمُوتُ الْجَمِيعُ هَكَذَا فِي الْمَسِيحِ سَيُحْيَا الْجَمِيعُ" (١كو١٥: ٢٢).

ويقول القديس كيرلس عمود الدين في رسالته إلى فالريان أسقف إيقونية الفقرة ١٢:

"لذا نقول بصواب تام أن موته هو وحده، بحسب الجسد، يعد مساويًا لحياة الجميع، فهو ليس موت إنسان مثلنا حتى بالرغم من أنه صار مثلنا، بل نقول إنه –لكونه إله بالطبيعة– تجسد وتأنس بحسب اعتراف الآباء."[١٣]

والمقصود بقول القديس كيرلس "أن موته هو وحده يعد مساويًا لحياة الجميع" أنه حينما اتحد اللاهوت بالناسوت في تجسد الكلمة، لم يتحول الناسوت إلى لاهوت ولا اللاهوت إلى ناسوت، ولكن صار

---

[13] Saint Cyril of Alexandria, The Fathers of the Church, Volume 76, C.U.A. Press 1987, Letter 50, To Valerian, par. 12, p. 218.

لذبيحة جسد المسيح، قيمة غير محدودة نظرًا لاتحاد جسده الخالي من الخطية باللاهوت اتحادًا طبيعيًا وأقنوميًا. ونظرًا لأنه جسد الله الكلمة، وليس جسد آخر، وهو ما نعبّر عنه بالجسد الإلهي، لذلك فذبيحته غير محدودة في قيمتها في إيفاء العدل الإلهي عن البشرية.

فلو لم يكن الجسد هو جسد الله الكلمة ولو لم يكن متحدًا اتحادًا طبيعيًا (كاتا فيزين) باللاهوت فلا يمكن أن توفي ذبيحته دين الخطية لجميع البشر في جميع العصور لجميع الخطايا لكل من يؤمن وينال الأسرار الإلهية.

لم يكن الصراع بين القديس كيرلس بابا الإسكندرية ونسطور بطريرك القسطنطينية صراعًا فلسفيًا بل كان صراعًا "سوتيرلوجيًا" (أي حسب علم الخلاص) في حرصه على خلاص البشرية. لكن هذا لا يمنع أنه دافع دفاعًا "ثيؤلوجيًا" (أي حسب علم اللاهوت) عن الحقائق الإلهية أيضًا، لأن هذا هو الإيمان السليم.

معنى هذا أن القديس كيرلس الكبير لم يقصد أن يستعرض قدراته في فهم اللاهوت، في أنه يؤمن بتجسد الكلمة، وأن الله الكلمة هو الذي تجسد، وأن اللاهوت اتحد بالناسوت اتحادًا طبيعيًا (كاتا

فيزين) وأقنوميًا (كاث إيبوستاسين) وكل تعليمه الذى دافع به عن العقيدة.

إن نقطة الخطر هي ضرب عقيدة الفداء، فإذا لم يكن الله هو الذي خلّصنا على الصليب كيف يتم الفداء؟ من يستطيع أن يوفي خطايا العالم كله؟ من يقدر أن يدّمر الجحيم؟ من يقدر أن يسحق الموت؟ من يقدر أن يهزم إبليس وكل مملكته؟

لقد قدّم السيد المسيح هذا المفهوم بطريقة بسيطة حينما قال "حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ دَارَهُ مُتَسَلِّحاً تَكُونُ أَمْوَالُهُ فِي أَمَانٍ. وَلَكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ" (لو ١١: ٢١-٢٢).

نحن كنا في صُلب آدم حينما أخطأ في الفردوس لأننا من نسله بحسب طبيعتنا البشرية. ولكننا لسنا من نسل السيد المسيح بحسب طبيعتنا البشرية، لأن السيد المسيح لم ينجب نسلاً جسديًا مثل آدم، بل الروح القدس يجدد هذه الطبيعة في المعمودية ويمنحنا التبني بالولادة الجديدة من الماء والروح لأن "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يو٣: ٦). نحن نصير أولادًا لله في

المعمودية وننتقل من الانتساب إلى آدم إلى الانتساب إلى السيد المسيح وبهذا نصير أعضاءً في جسده أي الكنيسة التي هو رأسها. إن السيد المسيح قد اشترك في طبيعتنا بلا خطية لكي يصير قادرًا أن يموت نيابة عن جميع الذين افتداهم حينما حمل خطاياهم مسمرًا إياها بالصليب. عن هذا قال القديس أثناسيوس الرسولي في كتاب تجسد الكلمة الفصل الثامن:

"وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسدًا مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت عوضًا عن الجميع، وقدمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك : **أولاً** لكى يَبطل الناموس الذى كان يقضي بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل في جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره في **البشر الذين ناب عنهم.** **ثانياً** لكي يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن عادوا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت كإنقاذ القش من النار."[١٤]

[١٤] تجسد الكلمة القديس أثناسيوس الرسولي، نقله إلى العربية القمص مرقس داود، دار النشر الأسقفية بالقاهرة، الطبعة الثامنة، الفصل الثامن، صفحة ٣٨.

وأيضًا في الفصل التاسع:

"وإذ رأى الكلمة أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم، وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب، لهذا أخذ لنفسه جسدًا قابلاً للموت حتى باتحاده بالكلمة، الذى هو فوق الكل، يكون جديرًا أن يموت نيابة عن الكل، وحتى يبقى في عدم فساد بسبب الكلمة الذي أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدم للموت ذلك الجسد، الذي أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة فقد رفع حكم الموت فورًا عن جميع **من ناب عنهم**، إذ قدم **عوضًا عنهم** جسدًا مماثلاً لأجسادهم."[١٥]

Nicene and Post Nicene Fathers, series 2, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1978, Vol. IV, St. Athanasius, *On the Incarnation of the Word*, Chapter 8, par 4, p 40.

[١٥] تجسد الكلمة القديس أثناسيوس الرسولي، نقله إلى العربية القمص مرقس داود، دار النشر الأسقفية بالقاهرة، الطبعة الثامنة، الفصل التاسع، صفحة ٣٩.

Nicene and Post Nicene Fathers, series 2, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1978, Vol. IV, St. Athanasius, *On the Incarnation of the Word*, Chapter 9, par 1, p. 40, 41.

وقد أوضح القديس أثناسيوس أن العدل الإلهي قد استوفي بآلام وموت الصليب فقال:

"لهذا كان أمام كلمة الله مرة أخرى أن يأتي بالفاسد إلى عدم فساد، وفي نفس الوقت أن **يوفي مطلب الآب العادل المطالب به الجميع** وحيث أنه هو كلمة الآب ويفوق الكل، فكان هو وحده الذي يليق بطبيعته أن يجدد خلقة كل شيء وأن يتحمل الآلام عوضًا عن الجميع وأن يكون **نائبًا عن الجميع** لدى الآب."[١٦]

---

[١٦] تجسد الكلمة القديس أثناسيوس الرسولي، نقله إلى العربية القمص مرقس داود، دار النشر الأسقفية بالقاهرة، الطبعة الثامنة، الفصل السابع، صفحة ٣٦.

Nicene and Post Nicene Fathers, series 2, Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan, 1978, Vol. IV, St. Athanasius, *On the Incarnation of the Word*, Chapter 7, par 5, p.40.

الحلول الأقنومي

هناك فرق بين تعبير "الحلول الأقنومي" وتعبير "الاتحاد الأقنومي". لأن "الاتحاد الأقنومي" بين اللاهوت والناسوت لم يحدث إلا في تجسد ابن الله الكلمة فقط حيث حل أقنوم الابن الوحيد الجنس واتحد بالطبيعة البشرية الخاصة به التي اتخذها بغير خطية من العذراء القديسة مريم.

فلا الروح القدس تجسد ولا اتحّد أقنوميًا بالناسوت مثلما اتحد أقنوم الكلمة. ولكن الروح حل على السيدة العذراء مثلما قال لها الملاك جبرائيل "اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ" (لو ١: ٣٩). وعندما حل أقنوم الروح القدس عليها طهَّرها وقدَّسها وملأها نعمة، وفي نفس الوقت كوَّن منها ناسوتًا خاليًا من الخطية لكي يحل فيه ويتحد به أقنوم الكلمة في نفس لحظة التكوين.

فإذا قال البعض إن الروح القدس قد حل "حلولاً أقنوميًا" على العذراء مريم فهو لا يقصد أنه اتحد بالناسوت "اتحادًا أقنوميًا" بل أن أقنوم الروح القدس له دوره في التجسد الإلهي في تقديس العذراء مريم

وفي تكوين الناسوت الخاص بالسيد المسيح ولكنه هو نفسه لم يتجسد.

أيضًا فإن حلول أقنوم الكلمة الذي له نفس الجوهر مع الآب والروح القدس يعني أن الآب والروح القدس يكونان حيثما يكون الابن مثلما قال عن سكنى الروح القدس "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً" (يو١٤: ٢٣). بمعنى أن الابن لا ينفصل في الجوهر عن الآب والروح القدس بالرغم من دوره المتمايز بأنه هو وحده الذي تجسد. لذلك فإن أقنوم الروح القدس كان ساكنًا وحالاً في أحشاء السيدة العذراء أثناء وجود الكلمة المتجسد في أحشائها، ولحين ولادته منها بحسب الناسوت.

أما عن حلول الروح القدس في يوم الخمسين فإننا نفضّل أن نقول عنه إنه "حلول مواهب" لأنه لا يمنح جوهره للرسل وللمؤمنين بل مواهبه وعطاياه؛ مع أن الذي حل هو أقنوم الروح القدس بلا شك إلا أننا لا نفضّل أن نسميه "حلولاً أقنوميًا" لئلا يتمادى أحد –كما يفعل البعض– ويعتبرونه "اتحادًا أقنوميًا"؛ وكأننا صرنا آلهة وكل منا هو الروح القدس. أي أننا نتفادى الخلط بين تعبير "الحلول الأقنومي" و"الاتحاد الأقنومي". لكننا لا ننكر أبدًا أن الروح القدس

هو الذي حل في يوم الخمسين ومنح مواهب بواسطة "أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ" (أع٢: ٣) والروح القدس بجوهره لا ينقسم. ولا ننكر أن أقنوم الروح القدس هو الفاعل في الأسرار الكنسية وفي قيادة الكنيسة وإرشادها وقال عنه السيد المسيح "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ" (يو١٤: ١٦).

ونختم بما كتبه القديس كيرلس الكبير في رسالته الثالثة إلى نسطور في الفقرتين التاسعة والعاشرة:

"قيل أن في المسيح "يحل كل ملء اللاهوت جسديًا" (كو ٢: ٩). لذلك **نحن ندرك أنه إذ صار جسدًا فلا يقال عن حلوله أنه مثل الحلول في القديسين**، ولا نحدد الحلول فيه أنه يتساوى وبنفس الطريقة كالحلول في القديسين. ولكن الكلمة إذ اتحد "حسب الطبيعة" κατὰ Φύσιν (kata physin) ولم يتغير إلى جسد، فإنه حقق حلولاً مثلما يقال عن حلول نفس الإنسان في جسدها الخاص.. وكما قلنا سابقًا، فإن كلمة الله قد اتحد

بالجسد "أقنوميًا" καθ’ ὑπόστασιν (kath hypostasin)، فهو إله الكل ورب الجميع".[١٧]

[١٧] المرجع السابق، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، الرسالة ١٧ إلى نسطور الفقرة ٩، ١٠، صفحة ١٨.

St. Cyril of Alexandria, Letter 17, To Nestorius, par. 9, 10, pp. 83-85.

ثيئوطوكوس

Theotokos - Θεοτόκος

دعيت القديسة العذراء مريم "والدة الإله" Theotokos "ثيئوطوكوس" وهذا التعبير باللغة اليونانية مكون من كلمتين Θεός "ثيئوس" Theos أي "الله"، والفعل τίκτω "تيكتو" Tikto أي "يلد".

وقد قيل هذا اللقب ليس مجرد تكريم للعذراء مريم ولكنه قيل تأكيدًا واعترافًا بألوهية السيد المسيح. لأن المولود من العذراء في ملء الزمان هو هو نفسه المولود من الآب قبل كل الدهور.

وحدث صراع حول هذا اللقب مع "ديودور الطرسوسي" و"ثيئودور الموبسويستي" و"نسطوريوس" بطريرك القسطنطينية وحسم المجمع المسكوني الثالث في أفسس سنة ٤٣١م برئاسة "القديس كيرلس الإسكندرى" هذا الصراع بحرم نسطوريوس وعزله من البطريركية، وبتثبيت لقب "والدة الإله" عن العذراء مريم، ووضع مقدمة قانون الإيمان "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم..".

ولكن هذا اللقب استخدمه الآباء القديسون قبل "القديس كيرلس عامود الدين" وبالتالي قبل مجمع أفسس ٤٣١م.

ومن أمثلة ذلك قول **القديس ألسكندروس** البابا التاسع عشر من باباوات الإسكندرية (٣١٣-٣٢٨م):

"ربنا يسوع المسيح في العمل نفسه (وليس فقط في الظاهر) حمل جسدًا كان من مريم **والدة الإله**."[١٨]

وكذلك كتب **القديس أثناسيوس** البابا العشرون في رسالته الثالثة ضد الأريوسيين الفقرة ٣٣:

"يوحنا بينما هو في الرحم ارتكض بإبتهاج عند سماع صوت مريم **والدة الإله**."[١٩]

و**القديس باسيليوس الكبير** (٣٢٩-٣٧٩م) قال:

"أعترف بتدبير الابن في الجسد وأن القديسة مريم التي ولدته بحسب الجسد هي **والدة الإله**."[٢٠]

---

[18] Ante-Nicene Fathers, series 2, Vol. VI, Pope Alexander of Alexandria, Epistles on the Arian Hersey, p. 296.

[19] N. & P. N. Fathers, series 2, Vol. IV, St. Athanasius, Four Discourses Against Arians, Discourse III, par 33, p. 411.

[20] N. & P. N. Fathers, series 2, Vol. VIII, St. Basil, Letter 360, p.326.

و**القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات** (٣٣٠-٣٨٩م) في مقاله لكليدونيوس الكاهن ضد أبوليناريوس قال:

"من لا يؤمن أن القديسة مريم هي **والدة الإله** يستبعد من الألوهة".[٢١]

وينبغي أن نلاحظ أننا نؤمن أن العذراء هي **والدة الإله المتجسد** وليست والدة اللاهوت لأن المسيح بلاهوته مولود قبل كل الدهور من الآب ولكنه مولود بحسب إنسانيته من العذراء مريم في ملء الزمان. ولكن لأن الله الكلمة **هو نفسه** الذي "أَخْلَى نَفْسَهُ آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ" (في ٢: ٧) وهو نفسه الذي تجسد من العذراء مريم وليس آخر لهذا نقول إنها "والدة الإله" أي والدة الإله الكلمة المتجسد.

ويقول **القديس كيرلس الكبير** إن الله الكلمة ينسب إلى نفسه ولادته من العذراء القديسة مريم،[٢٢] وهكذا فعلى نفس القياس نقول إنه ينسب إلى نفسه آلام جسده الخاص، وينسب إلى نفسه موته

---

[21] N. & P. N. Fathers, series 2, Vol. VII, St. Gregory Nazianzen, To Cledonius the Priest Against Apollinarius, Ep. CI, p. 439.

[٢٢] المرجع السابق، رسائل القديس كيرلس إلى نسطور ويوحنا الأنطاكي، يوليو ٢٠٠١، الرسالة ٤ إلى نسطور الفقرة ٤، صفحة ١٠.

وقيامته بحسب الجسد وأيضًا صعوده إلى السماء ومجيئه الثاني في اليوم الأخير "ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي **فِي مَجْدِ أَبِيهِ** مَعَ مَلاَئِكَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ" (مت١٦: ٢٧).

لقب والدة الإله في الصلوات الطقسية

إن لقب "**والدة الإله**" يتردد كثيرًا في صلوات الكنيسة الجامعة الطقسية كمصطلح مقبول كنسيًا تم قبوله على مستوى الكنيسة الجامعة في مجمع مسكوني وهو المجمع المسكوني الثالث في أفسس ٤٣١م.

وهذا اللقب هو لقب محبب إلى قلوب أبناء الكنيسة المخلصين المحبين للقديسة العذراء مريم **والدة الإله** ويحلو لهم ترديده.

في القداس الإلهي

يرتل كل الشعب لحن: "بشفاعة **والدة الإله** القديسة مريم يارب أنعم لنا بمغفرة خطايانا".

ونفس العبارة تقال في الهيتنيات قبل قراءة البولس.

في مقدمة قانون الإيمان

التي وضعها البابا كيرلس عامود الدين؛ تتلى في رفع بخور العشية وباكر وفى القداس الإلهي وفى كل الصلوات الطقسية والتي نقول

فيها: "نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء القديسة **والدة الإله**".

وفي مجمع القداس

يقول الكاهن: "وبالأكثر القديسة المملوءة مجدًا العذراء كل حين **والدة الإله** القديسة مريم".

في صلاة الأجبية

في كل ساعة من سواعي الصلوات السبع نجد القطعة الثالثة والسادسة (إن وُجدت ثلاث قطع أخرى) من قطع الصلوات التي تتلى بعد قراءة الإنجيل كلها مخصصة للسيدة العذراء ويتردد فيها لقب "**والدة الإله**".

في تسبحة نصف الليل

هناك ثيئوطوكية أي "تمجيد **لوالدة الإله**" لكل يوم من أيام الأسبوع وهي كلها تشرح سر التجسد الإلهي.. علاوة على أن جزءًا من ثيئوطوكية الأحد يرنم كل يوم بعد الهوس الأول، بالإضافة إلى ثيئوطوكية اليوم وكلها يتردد فيها لقب **والدة الإله**، كما أن هناك الشيرات التي تقال في تسبحة يوم السبت.

وبعد مجمع التسبحة تقال الذكصولوجيات وهي تماجيد للقديسين وفي مقدمتها ذكصولوجية السيدة العذراء التي يبدأ بها المرتل كل الذكصولوجيات، وأخرى للسيدة العذراء أيضًا تقال في ختام الذكصولوجيات. وهذه الذكصولوجيات يتردد فيها لقب "**والدة الإله**".

وهناك ذكصولوجية باكر التي تقال بعد صلاة باكر كل يوم وبها جزء تمجيد للسيدة العذراء تلقب فيه بلقب "**والدة الإله**".

كما أن هناك الكثير من ألحان الكنيسة الخاصة بالمناسبات الكنسية يتردد فيها لقب "**والدة الإله**" مثل اللحن العريق الذي تردده كنيستنا والكنائس اليونانية وهو لحن "أومونوجينيس" الذى يقال في يوم الجمعة العظيمة وفى سيامة الآباء البطاركة وفي تقديس الميرون ويرد فيه لقب "**والدة الإله**".

لماذا لا نقول عن العذراء إنها والدة الإنسان يسوع؟

إنها بالفعل والدة الإنسان يسوع ولكن لأن يسوع هو هو نفسه الله الكلمة المتجسد وليس آخر، ونحن لا نفصل الله الكلمة عن الإنسان يسوع وكأنه في المسيح شخصين أو ابنين هما ابن الله وابن الإنسان بل ابن واحد وشخص واحد هو هو نفسه ابن الله وابن الإنسان، لذلك نؤكد أن العذراء مريم هي "والدة الإله" (ثيئوطوكوس)

لئلا يظن أحد أنها ولدت إنسانًا وابنًا ليس هو ابن الله. بل إن الملاك جبرائيل قال لها "فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ" (لو ١: ٣٥). هي لم تلد لاهوته ولكنها ولدته بحسب ناسوته وهو الإله.

إذا قلنا "ولد جسد الله الكلمة من العذراء مريم" وسألنا من الذى ولد منها؟ فالإجابة تلقائيًا هي: "الله الكلمة".

إن قلنا إن العذراء ولدت إنسانًا فهذا سوف يعطي فرصة للبعض أن يقولوا إنه نبي أو إنه ليس إلهًا. إلا أن هذا لا يمنع أننا نعترف أنها ولدت إنسانًا، ولكن هذا الإنسان هو إله متجسد وهو هو نفسه إله وإنسان في آنٍ واحد.

ولكن من ناحية أخرى، إن ادّعى أحد، مثل أوطاخي مثلاً، أن المسيح هو إله فقط وليس إنسانًا، إذ أن في نظره الناسوت ذاب في اللاهوت، أو مثل الدوسيتيين الذين ادّعوا أن المسيح اتخذ جسدًا خياليًا، فينكرون ناسوت المسيح: على أمثال هؤلاء نرد بقولنا أن المسيح هو إنسان كامل، ونؤكّد أن العذراء ولدت المسيح كإنسان. أما المشكلة التي نحن بصددها فهي إنكار إلوهية المسيح لذلك لابد أن يكون تركيزنا في الشرح على أن العذراء هي "**والدة الإله**". وقال

القديس كيرلس السكندري إن الله الكلمة ينسب إلى شخصه كل ما يخص جسده الخاص فآلام جسده هي آلام الله الكلمة وموت جسده هو موت الله الكلمة وليس موت لاهوته.

نحن كمسيحيين نؤمن أن السيد المسيح ليس هو إنسان متألّه أو إنسان سكن فيه الله الكلمة، كما قال نسطور بطريرك القسطنطينية الذى حرمته الكنيسة في مجمع أفسس المسكوني عام ٤٣١م، بل نؤمن أن المسيح رب المجد هو إله متجسد، مثلما قال إنجيل القديس يوحنا "كَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ... وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا" (يو١:١، ١٤). ويقول القديس بولس الرسول في رسالته إلى تلميذه تيموثاوس "وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُو سِرُّ التَّقْوَى: اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ" (١تي٣ :١٦)، وأنه فيه "يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًا" (كو٢: ٩).

خطورة التعليم بأن المسيح هو إنسان تألّه هو أن ذلك يجعل المسيحية في موقف الشرك في العبادة، لأنه إذا تألّه أحد البشر فهذا معناه تأليه الإنسان، مثلما ألّه أباطرة الرومان أنفسهم. وهو نوع من تعدد الآلهة.

الإله يمكنه أن يتجسد، لأن الله قادر على الظهور، وقادر على التجسد لأنه قادر على كل شيء. لكن الإنسان لا يمكنه أن يتأله على الإطلاق. ونحن سنظل متمسكين بلقب العذراء مريم أنها "والدة الإله" حسبما قرر المجمع المسكوني الثالث في أفسس.

تعبير "مونوجينيس"

Mono-genis – Μονογενής

تعبير "مونوجينيس" هو تعبير يوناني مكوَّن من مقطعين وهما: μονο "مونو" أي "وحيد"، و γενης- "جينيس" أي "الجنس بالولادة"، والمقصود بكلمة "الجنس" أي "النوع"؛ مثلما نقول جنس الطيور، أو جنس البشر، أو جنس الملائكة. وليس المقصود الذكورة والأنوثة.

وأصل كلمة "جينيس" (genis- γενής) كلمة أخرى من اليونانية القديمة وهي "جينا" (γέννα) بمعنى "ذرية". وقد وردت في الأسفار اليونانية القديمة. وأُشتق منها كلمتان: "جينوس" (genos- γενός) أى "جنس"، وفعل "جينيسيس" (gennisis-γεννησις) أي فعل الولادة "يلِد"، وبدمج الكلمتين معًا نشأت كلمة "جينيس" (genis- γενής) التي تعني كما قلنا "الجنس بالولادة".

ولذلك فتعبير "مونوجينيس" يعنى "الوحيد الجنس بالولادة". وقد ورد هذا التعبير عن السيد المسيح في قوله لنيقوديموس "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ الجِنس بالولادة" (يو٣: ١٦)، والبعض

يختصرها في الترجمة العربية إلى "هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ" وذلك لتسهيل الفهم.

وورد أيضًا نفس التعبير "مونوجينيس" في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين بقوله "بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَ جنسه بالولادة. الَّذِي قِيلَ لَهُ: إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" (عب١١: ١٧، ١٨)، ويختصرها البعض في الترجمة العربية "قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ".

بالنسبة للسيد المسيح عبارة "مونوجينيس" تعني إنه الوحيد الذي ولادته أزلية من الآب، أخذ نفس الجوهر الإلهي أي الجنس الإلهي، وهو الوحيد في كل الوجود الذي أخذ هذا الجوهر بالولادة. أما الروح القدس فقد أخذ هذا الجوهر الإلهي بالانبثاق من الآب بغير مولودية "رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ" (يو ١٥: ٢٦).

وبالنسبة لإسحق ابن إبراهيم فإنه حمل نفس الطبيعة البشرية أو الجوهر البشري أو الجنس البشري لإبراهيم بولادته منه. وكان بالنسبة له هو ابنه الوحيد من سارة المتبقي معه.

المسيح البكر

Prototokos – Πρωτότοκος

كلمة "بكر" في اللغة اليونانية هي (بروتوطوكوس) وهي مكونة من مقطعين: πρῶτος (بروتوس) وتعني المتقدم أو السابق، والفعل اليوناني τίκτω (تيكتو) أي يلد. وبذلك يكون معنى كلمة (بروتوطوكوس) اليونانية: السابق في الولادة. وقد قيلت عن ولادة السيد المسيح من الآب السماوي قبل كل الدهور لذلك قال عن مجيئه من قِبَل الآب "خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ" (يو١٦: ٢٨)، وعن هذا الأمر قيل أيضًا "مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ" (عب ١: ٦، و مز ٩٧: ٧). وهي لا تعني أن السيد المسيح له إخوة من الآب بحسب ألوهيته لأنه هو الابن الوحيد الجنس (مونوجينيس إيوس– أنظر يو ٣: ١٦). لذلك فنحن إذا استخدمنا هذه الكلمة مرتبطة بالخليقة فلا نقول "بكر كل خليقة" بل "المولود قبل كل خليقة" لكي لا يحسب كأنه واحد من الخليقة، ولكن إذا استخدمناها عن ولادته من الآب فمن المفهوم أنه هو "البكر" والوحيد.

إن السيد المسيح هو "بكر" في كل شيء: "بكر" في ولادته من الآب بحسب لاهوته – "بكر" في ولادته من العذراء في ملء الزمان بحسب ناسوته (انظر لو ٢: ٧) وهو ابنها الوحيد – وهو "البكر من الأموات" (كو ١: ١٨) بجسد القيامة الممجد وسيظل هو الوحيد إلى مجيئه الثاني وقيامة القديسين – "بكر" في صعوده إلى السموات وجلوسه عن يمين العظمة في الأعالي، ولن ينال أحد هذه الكرامة لا من الملائكة ولا من البشر في مسألة الجلوس عن يمين الآب مباشرة، أي فيما يليق به كإبن مساوٍ لأبيه في المجد فهو الوحيد – وقد دفن في قبر "بكر" لم يوضع فيه أحد قط لا قبله ولا بعده.

وربما يتساءل البعض عن بنوة المؤمنين لله أو عن أخوّة المسيح لهم مثلما ورد في رسالة رومية "لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ" (رو٨: ٢٩) أو قول السيد المسيح لمريم المجدلية عن الرسل الأحد عشر "اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ" (يو٢٠: ١٧). عن هذه الأمور نقول إن بنوة المؤمنين لله هي **بالنعمة وبالتبني بإرادة الآب وليس بالطبيعة أو بالجوهر**، أما بنوة الابن للآب بحسب لاهوته فهي بحسب الجوهر والطبيعة، فهو الوحيد المولود من الآب بالطبيعة وبنفس الجوهر. ولذلك فكلمة "إِخْوَتِي" تشير إلى أن الذين

آمنوا به "أَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ" (يو ١: ١٢). وبكورية السيد المسيح في هذه الحالة، أي في وسط أخوته من المؤمنين، هي **بكورية انتسابية** وليست بالطبيعة لا من حيث لاهوته ولا من حيث وجود إخوة جسديين له من العذراء مريم بحسب ناسوته لأن العذراء مريم هي دائمة البتولية.

وإن كان "يَعْقُوب بْنَ حَلْفي" أحد الاثني عشر (لو٦: ١٥) دعي "أَخَا الرَّبِّ" (غل١: ١٩) فذلك لأن والدته كانت مريم ابنة خالة السيدة العذراء والدة الإله. ومن الواضح أنه ليس ابن يوسف خطيب العذراء مريم ولا ابن العذراء مريم طبعًا. ولكن السيدة العذراء صار لها ابنًا آخر بالانتساب حينما قال لها السيد المسيح وهو على الصليب عن يوحنا الرسول "يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ" (يو١٩: ٢٦) ولو كان لها أبناء حسب الجسد فماذا كانت الحاجة أن يقول ليوحنا "هُوَذَا أُمُّكَ" (يو١٩: ٢٧)؟

إبيسكوبوس

Episkopos – Ἐπίσκοπος

كلمة "إبيسكوبوس" ἐπίσκοπος هي كلمة يونانية مكونة من مقطعين الأول هو "إيبي" (ἐπί –epi) بمعنى "فوق" أو "على" والثاني هو "سكوبوس" (σκοπος-skopos) بمعنى "ناظر"، وبذلك فإن الكلمة تعني "ناظر من أعلى"، أو "مراقب" overseer.

وفي ذلك المعنى يقول معلمنا بطرس الرسول "ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ **نُظَّارًا**، لاَ عَنِ اضْطِرَارٍ بَلْ بِالاِخْتِيَارِ... وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ تَنَالُونَ إِكْلِيلَ الْمَجْدِ الَّذِي لاَ يَبْلَى" (١بط ٥: ٢، ٤). والكلمة التي تُرجمت للعربية "نظارًا" في هذه الآية هي في اليونانية "إبيسكوبونتس" ἐπισκοποῦντες وهو اسم الفاعل من "إبيسكوبوس".

لأن عمل الأسقف هو النظر من أعلى أو المراقبة وأيضًا الرعاية.

وعن أن عمل الأسقف هو الرعاية يقول معلمنا بولس الرسول "احْتَرِزُوا إِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا أَسَاقِفَةً لِتَرْعُوا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ" (أع٢٠: ٢٨).

ولقد قيل نفس هذا اللقب عن السيد المسيح كما يظهر في قول معلمنا بطرس الرسول "لَكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا" (١بط ٢: ٢٥). إذن السيد المسيح هو راعي بل هو رئيس الرعاة كما قال معلمنا بطرس الرسول "وَمَتَى ظَهَرَ رَئِيسُ الرُّعَاةِ" (١بط ٥ : ٤).

والسيد المسيح أيضًا هو رئيس الكهنة فيقول معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين "لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ" (عب٤: ١٥) ويقول أيضًا "وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلاَمِ فَهُوَ أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هَذَا، قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ" (عب٨: ١). ونحن في المفهوم الكنسي أيضًا نلقب السيد المسيح رئيس الكهنة الأعظم ورئيس الرعاة الأعظم. ولا نعطي هذا اللقب لغير السيد المسيح.

والأسقف أيضًا هو وكيل الله فيقول معلمنا بولس الرسول لتلميذه تيطس "لأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الأُسْقُفُ بِلاَ لَوْمٍ كَوَكِيلِ اللهِ" (تى١: ٧)، ويقول أيضًا "هَكَذَا فَلْيَحْسِبْنَا الإِنْسَانُ كَخُدَّامِ الْمَسِيحِ وَوُكَلاَءِ سَرَائِرِ اللهِ" (١كو٤ : ١).

والأسقف يقيم قسوسًا كما قال معلمنا بولس الرسول لتلميذه تيطس "مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كِرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قسوسًا كَمَا أَوْصَيْتُكَ" (تي١: ٥). علما بأن الكلمة اليونانية لكلمة "قسوسًا" هي "بريسفيتيروس" πρεσβύτερος ولها أربعة معاني هي "شفيع" أو "سفير" أو "قس" أو "شيخ (متقدم في السن)"، وهذا ما سوف نوضحه.

بريسفيتيروس

Presbyteros – Πρεσβύτερος

"بريسفيتيروس" كلمة يونانية معناها "شفيع" أو "سفير" أو "شيخ" أو "قس". ولا يمكن أن يدَّعى أحد أن هناك خلطًا بين رتبة الأسقف ورتبة القس الكنسية في أسفار العهد الجديد. وينبغي منتهى الحذر عند التعامل مع هذه الكلمة لئلا يُساء فهم الأمور العقائدية في الكتاب المقدس أو في كتابات الآباء. والدليل أن هذه الكلمة تعني شفيع أن كلمة "شفاعة" هي "برسفيا" πρεσβεία باللغة اليونانية. والدليل أيضًا أنها تعني سفير أن كلمة "سفارة" هي "برسفيا" أيضًا باللغة اليونانية. واستخدمت كلمة "شفاعة" وكلمة "سفارة" في أسفار العهد الجديد بنفس تعبير "برسفيا" كما ذكرنا. وكلمة "شيخ" تعني متقدم في العمر. وكلمة "قس" أصلها سرياني "قشيشو" ومنها كلمة "قس" العربية، والكلمة السريانية تعني رجل متقدم في العمر.

والآيات التي وردت في أسفار العهد الجديد بهذه المعاني هي على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر كما يلى:

١- **شفيع** "وَأَيُّ مَلِكٍ إِنْ ذَهَبَ لِمُقَاتَلَةِ مَلِكٍ آخَرَ فِي حَرْبٍ لاَ يَجْلِسُ أَوَّلاً وَيَتَشَاوَرُ: هَلْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلاَقِيَ بِعَشَرَةِ آلاَفٍ الَّذِي يَأْتِي عَلَيْهِ بِعِشْرِينَ أَلْفًا؟ وَإِلاَّ فَمَا دَامَ ذَلِكَ بَعِيدًا يُرْسِلُ شفاعة πρεσβείαν (بريسفيان) وَيَسْأَلُ مَا هُوَ لِلصُّلْحِ" (لو ١٤: ٣١، ٣٢).

٢- **سفير** "إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ πρεσβεύομεν (بريسفيومن) عَنِ الْمَسِيحِ كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ" (٢كو ٥: ٢٠).

٣- **شيخ** "لاَ تَزْجُرْ شَيْخًا πρεσβυτέρῳ (بريسفيتيرو) بَلْ عِظْهُ كَأَبٍ، وَالأَحْدَاثَ كَإِخْوَةٍ وَالْعَجَائِزَ كَأُمَّهَاتٍ" (١تي٥: ١).

٤- **قس** "مِنْ أَجْلِ هَذَا تَرَكْتُكَ فِي كِرِيتَ لِكَيْ تُكَمِّلَ تَرْتِيبَ الأُمُورِ النَّاقِصَةِ، وَتُقِيمَ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قسوسًا πρεσβυτέρους (بريسفيتيروس) كَمَا أَوْصَيْتُكَ" (تى ١: ٥). وأيضًا "لاَ تَقْبَلْ شِكَايَةً عَلَى قس πρεσβυτέρου (بريسفيتيرو) إِلاَّ عَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ" (١تى٥ : ١٩).

وبالرغم من وضوح هذه المعاني إلا أن كلمة "بريسفيتيروس" قد استخدمت أحيانًا بالنسبة للآباء الرسل أو بالنسبة للأساقفة لأنهم أيضًا هم شفعاء كهنة مثلما ورد في رسالة معلمنا بطرس الرسول

"أَطْلُبُ إِلَى الشُّيُوخِ πρεσβυτέρους (بريسفيتيروس) الَّذِينَ بَيْنَكُمْ، أَنَا الشَّيْخَ رَفِيقَهُمْ συμπρεσβύτερος (سيم بريسفيتيروس)، وَالشَّاهِدَ لآلاَمِ الْمَسِيحِ، وَشَرِيكَ الْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُعْلَنَ ارْعَوْا رَعِيَّةَ اللهِ الَّتِي بَيْنَكُمْ أساقفة ἐπισκοποῦντες (إبيسكوبونتس)" (١بط ٥: ١، ٢).

كما ورد في رسالة معلمنا بولس الرسول "إِذًا نَسْعَى كَسُفَرَاءَ πρεσβεύομεν (بريسفيومن)" (٢كو ٥: ٢٠) فاستخدم كلمة "برسفيومن" عن نفسه وعن باقي الرسل وخلافائهم.

وهذا يعني أن الاستخدام المتنوع لهذه الكلمة "بريسفيتيروس" لا يخلط بين رتبة القسيسية ورتبة الأسقفية ورتبة الرسولية. ولا يصح أن نقول عن طغمات الملائكة إنهم شيوخ بمعنى كبار السن بل أنهم شفعاء يرفعون بخورًا حول العرش لأن الملائكة لا يشيخون في العمر (رؤ ٤: ٤، ١٠).

الأربعة وعشرون شفيعاً

في رؤياه السمائية نظر يوحنا الرسول العرش الإلهي وقال: "وحول العرش أربعة وعشرون عرشًا. ورأيت على العروش أربعة وعشرين شفيعًا πρεσβυτέρους (بريسفيتيرووس) جالسين متسربلين بثياب بيض وعلى رؤوسهم أكاليل من ذهب" (رؤ ٤: ٤). وقال أيضًا عن

الحمل المذبوح في مشهد العرش "لما أخذ السفر خرت الكائنات الحية الأربعة والأربعة والعشرون شفيعًا πρεσβύτεροι (بريسفيتيرى) أمام الحمل ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخورًا هي صلوات القديسين" (رؤ ٥: ٨).

وكما ذكرنا فإن كلمة "بريسفيتيروس" اليونانية التي وردت في الأصل اليوناني لأسفار العهد الجديد تعني إما: شفيع، أو سفير، أو شيخ، أو قس.

فلماذا ينبغي أن تترجم هذه الكلمة في النصوص التي أوردناها من سفر الرؤيا بمعنى "شفيع"؟

إن الأربعة وعشرين شفيعًا المحيطين بالعرش الإلهي هم طغمة ملائكية بكل تأكيد؛ لأنه لم يدخل أحد من البشر بعد إلى ملكوت السموات؛ بل ذهب السيد المسيح كسابق للمفديين وقال لتلاميذه "أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا. وَإِنْ مَضَيْتُ وَأَعْدَدْتُ لَكُمْ مَكَانًا آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ" (يو ١٤: ٢، ٣). وقال بولس الرسول عن الأقداس السمائية "حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا" (عب ٦: ٢٠).

فبما أن الأربعة وعشرين شفيعًا ليسوا بشرًا فإنهم لا يدعون شيوخًا لأنهم لا يتقدمون في العمر.

كذلك بما أنهم ليسوا بشرًا فلا يمكن أن يكونوا قسوسًا، فإن الكتاب يقول "لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِي مَا لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ" (عب٥: ١). أي أن القس أو الكاهن ينبغي أن يكون مأخوذًا من البشر ويقام فيما لله أي في الهيكل أو المقدس الخاص بالله سواء في الأرض أو في السماء ليقدّم القربان.

حتى السيد المسيح نفسه بحسب لاهوته لم يكن كاهنًا قبل التجسد، بل صار كاهنًا حينما تجسد ليفتدي البشرية "صَائِرًا عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ" (عب٦: ٢٠). فمثلما نقول "وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا" (يو ١: ١٤)؛ كذلك نقول "صَائِرًا.. رَئِيسَ كَهَنَةٍ".

وعمومًا فإن كلمة "كاهن" باللغة اليونانية ιερεύς (يريفس) ومعروف طبعًا أن الكاهن هو الشفيع أي يجوز أن نسمي الكاهن "بريسفيتيروس" من حيث طبيعة عمله ونسميه أحيانًا قسًا حسب اللقب المنتشر بالنسبة للقسوس من البشر.

في ضوء هذه الأمور يتضح أن أعضاء هذه الطغمة السمائية المحيطة بالعرش يجب أن نسميهم "شفعاء"، ويمكن أن نسميهم

"سفراء" على اعتبار أنهم يرفعون أمام العرش الإلهي صلوات القديسين ويمثلونهم من هذه الناحية كسفراء.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الترجمة العربية لسفر الرؤيا المعتمدة من اللجنة المشكلة تحت إشراف وبقرار من الاتحاد العالمي لدور الكتاب المقدس United Bible Societies (U.B.S.) في الشرق الأوسط، بعد أن تمت مطابقة كل كلمة بدقة على الأصول اليونانية للعهد الجديد في أقدم المخطوطات، والتي اصدرها دار الكتاب في مصر الطبعة الأولى مارس ٢٠١٠ RVD ورد بها نص الآيات التالي:

"ولما أخذ السفر خرت الكائنات الحية الأربعة والسفراء الأربعة والعشرون أمام الحمل، ولهم كل واحد قيثارة وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين. وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه، لأنك **اشتريت** لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة، و**جعلتهم** لإلهنا ملكوتًا وكهنة، **فسيملكون** على الأرض" (رؤ ٥: ٨-١٠).

وبهذا نرى أن الملائكة يشكرون الرب على ما صنعه لأجلنا نحن البشر وليس لأجل أنفسهم. ولا ننسى ما رود في الرسالة إلى العبرانيين "لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، **لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا**" (عب ٩: ٢٤). فمن يستطيع الادعاء بوجود بشر حول عرش الآب، وبهذا يكونوا قد دخلوا ملكوت السماوات بينما السيد المسيح وحده هو الذى دخل كسابق لنا "حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ **كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا**، صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ" (عب ٦: ٢٠).

الفهرس

العنوان	عدد الكرازة	التاريخ
الإيمان والعقيدة واللاهوت	١٣، ١٤	٢٠١٥/٠٥/٢٧
الولادة والانبثاق	١٧، ١٨	٢٠١٣/٠٥/١٠
الوحي	٢٩، ٣٠	٢٠١٧/٠٧/٢٨
إيكونوميا=التدبير	١٧، ١٨	٢٠١٥/٠٥/٠١
الطاقة	٣٩، ٤٠	٢٠١٣/١٠/١١
الجوهر	١٣، ١٤	٢٠١٣/٠٤/٠٥
الطبيعة	١٩، ٢٠	٢٠١٣/٠٥/٢٤
الأقنوم	٢١، ٢٢	٢٠١٣/٠٦/٠٧
الشخص	٢٣، ٢٤	٢٠١٣/٠٦/٢١
الرغبة والإرادة والقرار	٢٥، ٢٦	٢٠١٣/٠٧/٠٥
بين الطبيعة والأقنوم عند ق كيرلس	٤٥، ٤٦	٢٠١٣/١١/٢٢
الاتحاد الأقنومي	٠٥، ٠٦	٢٠١٣/٠٢/٠٨
الاتحاد الطبيعي	٣٣، ٣٤	٢٠١٤/٠٨/٢٢
الاتحاد الأقنومي عند ق كيرلس	٤٩، ٥٠	٢٠١٣/١٢/٢٠
في الفكر فقط	٤١، ٤٢	٢٠١٣/١٠/٢٥
الاخلاء	٠٩، ١٠	٢٠١٢/١٢/٢٨
تبادل الألقاب مع الخواص	٢٧، ٢٨	٢٠١٣/٠٧/١٩

الموت النيابي	٣٧– ٣٨	٢٠١٦/٠٩/٢٠
تكملة	٣٩–٤٠	٢٠١٦/١٠/١٤
الحلول الأقنومي	٠١، ٠٢	٢٠١٥/٠١/٠٢
ثيئوطوكوس	٣١، ٣٢	٢٠١٣/٠٨/١٦
في الصلوات الطقسية	٣١، ٣٢	٢٠١٨/٠٨/١٧
لماذا لا نقول أم الإنسان؟	٣٣، ٣٤	٢٠١٦/٠٨/٢٦
مونوجينيس	١٥، ١٦	٢٠١٣/٠٤/١٩
المسيح البكر (بروتوطوكوس)	٠١، ٠٢	٢٠١٤/٠١/٠٣
إبيسكوبوس	٣٣، ٣٤	٢٠١٣/٠٨/٣٠
بريسفيتيروس	٣٥، ٣٦	٢٠١٣/٠٩/١٣
الأربعة وعشرون شفيع	٣٧، ٣٨	٢٠١٣/٠٩/٢٧